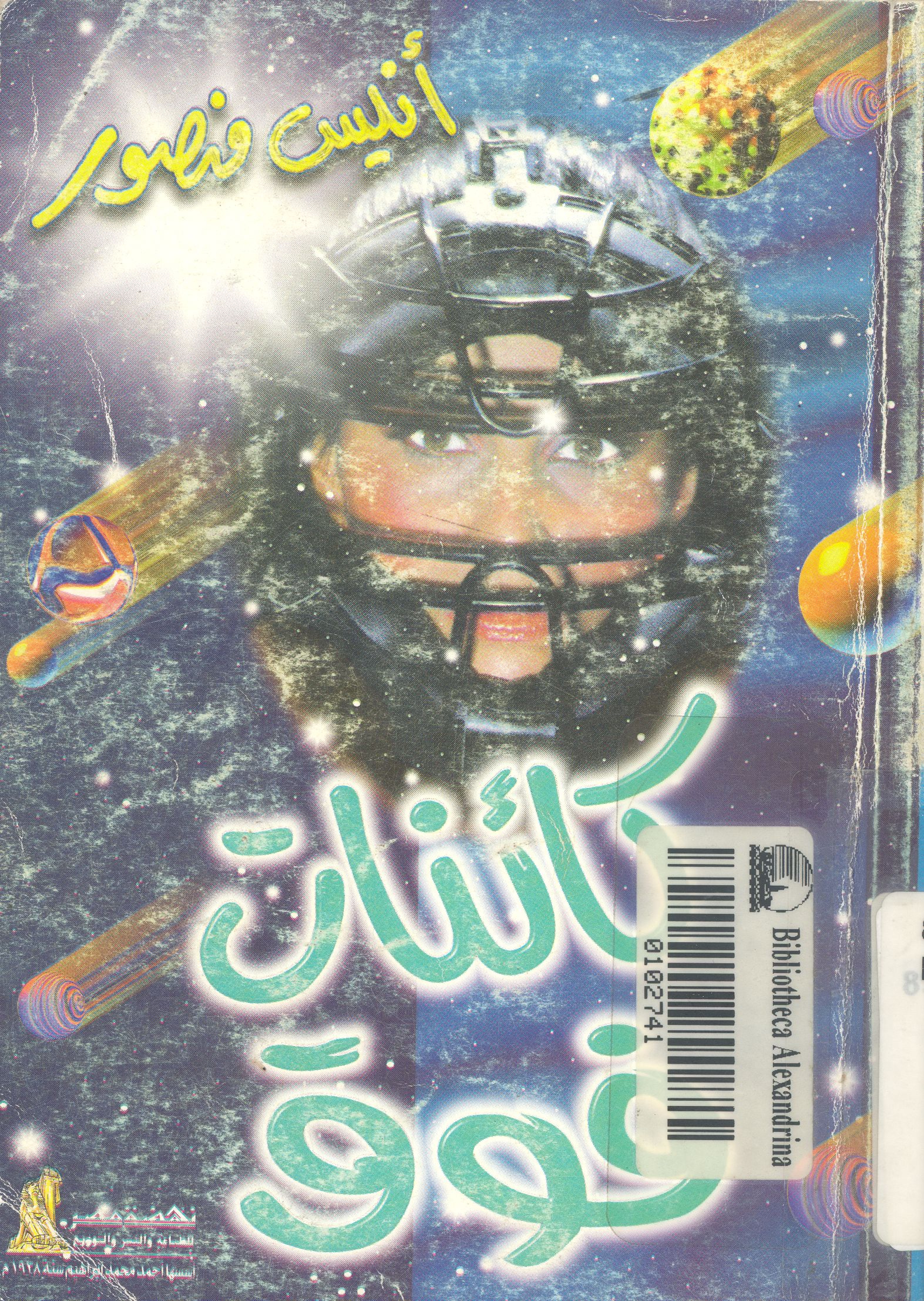


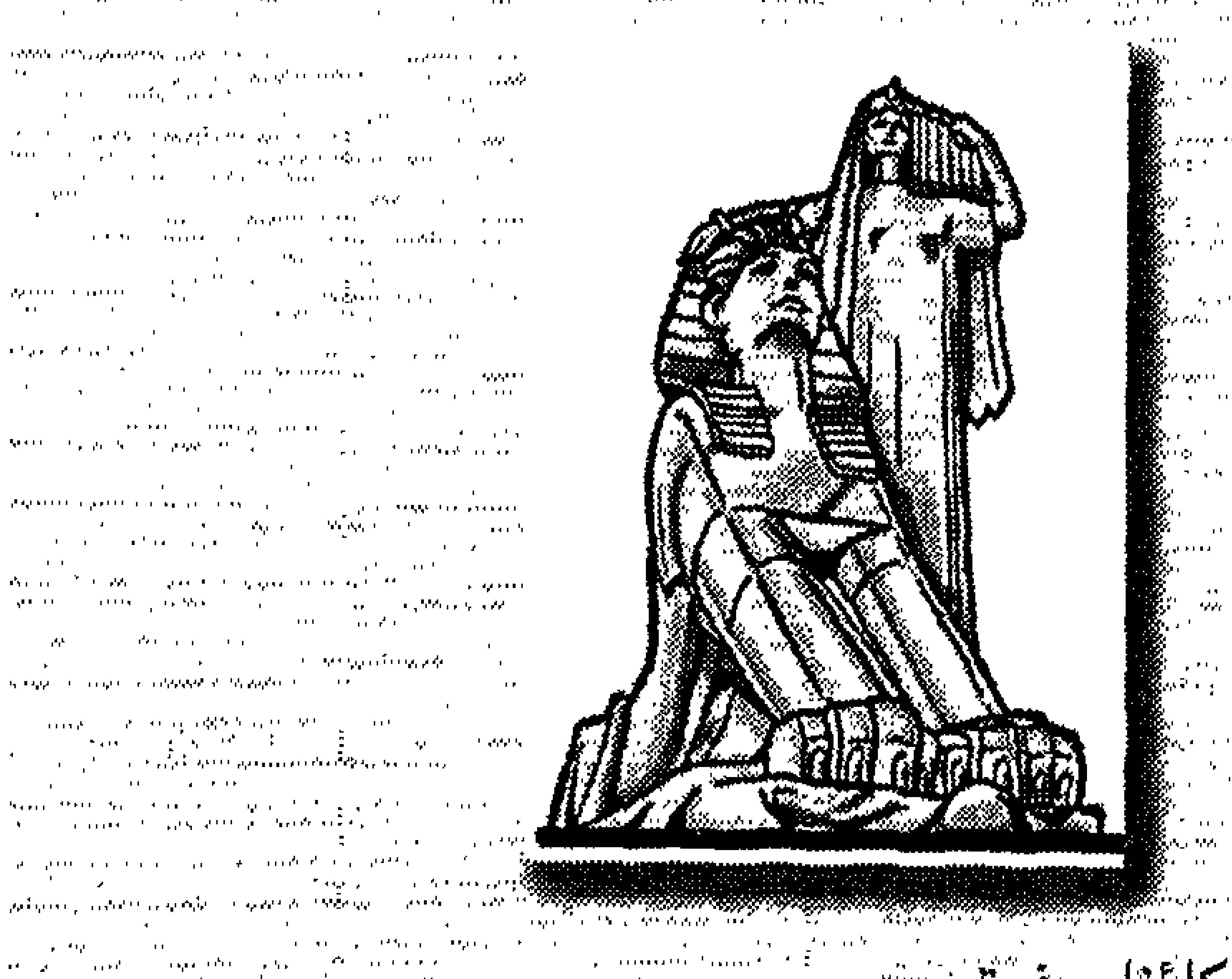
أنيس منصور
كائنات فوق
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨ م

أنيس منصور



مقالات





عنوان الكتاب : كائنات فوق
اسم المؤلف: أنيس منصور .
تاريخ النشر: فبراير ١٩٩٨
رقم الإيداع: ٣٧٦٢ / ١٩٩٧ .
الترقيم الدولى: I.S.B.N 977 - 14 - 0587 - X
الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ / ٠٢
ص.ب: ٩٦ الفجالة
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ / ٠٢
ص.ب: ٢٠ امبابة

كلمة أولى ..

سبحان الله أعظم الخالقين أقولها وقلتها مائة مرة . . ألف مرة . . وأنا أتفرج على أفلام عن الخلية . . . عن جزء على مائة ألف من الخلية . . على جزء من مليون من الخلية التى طولها وعرضها واحد على ألف من الملليمتر ـ تصور ما الذى صنعه الله فى هذا الكائن الحى . . ما هذه القوى فى داخلها؟ . . ما هذه الحركة؟ ما هذه الشحنات الكهربية؟ ما هذا النظام الدقيق؟ . . ما هذه القوة الجبارة الكائنة فى هذا الجزء الصغير جدا جدا؟ . . تبارك الله ! .

تخيل ميدانا مثل ميدان أنور السادات به مليون سيارة . . هذه السيارات كلها تتحرك فى نظام دقيق وبسرعات مختلفة ولاتصطدم بعضها ببعض وإذا اصطدمت فلكى تدخل الواحدة فى الأخرى ويتكون منهما شىء واحد . . وتخيل هذه السيارات أحجاما وألوانا . . وهذه السيارات تطلق أصواتا وتطلق أضواء . . فكل شىء له قاعدة وله أصول . .

هذه الحركة فى ميدان أنور السادات هى بالضبط ما يحدث فى الخلية التى نراها تحت الميكروسكوب قد تم تكبيرها إلى مليون مرة عن حجمها الأصلى . . وكذلك ألوانها أصبحت أوضح . .

شىء آخر مذهل ـ ولا حدود لقدرة الله وحكمته وعظمته ـ أن

حركة أى جزء من هذه الخلية إذا حاول العلماء أن يخرجوه من الخلية فإن سرعة خروجه أو إعادته إلى الخلية تصل إلى واحد على ألف مليون مليون من الثانية ـ وهذه نظرية الكيميائى المصرى الأمريكى أحمد زويل . .

فأنت لست فى حاجة ـ لكى تدرك عظمة الله ـ أن تنظر إلى تلسكوب فى الفضاء وترى كتلا من النار تدور حول بعضها البعض ومن ألوف ملايين السنين . . وهذه النجوم تولد وتموت . . وكالأسماك فى البحر كبيرها يأكل صغيرها . . وتولد من جديد وتتطوح فى الفضاء ألوف ملايين السنين وتعود تتقلص وتنكمش ويعتصر بعضها البعض ليكون خلقا جديدا إلى ما شاء الله . . وإنما يكفى أن تنظر فى الخلية الصغيرة جدا جدا . . وسوف ترى عظمة الله . . فهذه الخلية هى الكون الضئيل وفى هذا الكون الضئيل كل عظمة وجبروت وحكمة الله . . سبحان الله لا أعظم ولا أروع ولا أحكم منك ـ سوف تقولها ألف مرة وأنت تتفرج على صور متواضعة جدا لعظمة لا حدود لها ـ إن مشاهدة مثل هذه الأفلام ركوع وسجود وصلاة لأعظم الخالقين . آمنت بالله ! .

أنيس منصور

فى المدينة المنورة..

(١)

فى المدينة المنورة أنت تمشى على قـدمـيك وتنتـقل بين المحلات . . ثم إن المساجد الأثرية متقاربة : مسجد القبلتين وقباء والغمامة . .

وفى مكة لا تستطيع معظم الوقت أن تمشى على قدميك . . فالشوارع طالعة ونازلة . . أو الأماكن التجارية متباعدة . .

وفى جدة يمكن أن تكتفى بالسوبر ماركت الضخم الفخم ويغنيك عن محلات أخرى كثيرة وجميلة وأسعارها من نار ! .

أما فى الرياض فلابد من السيارة . . فالمدينة كبيرة جداً واسعة جداً . . وشوارعها طويلة عريضة . . وشوارعها بعشرات الكيلو مترات . . وهى أنظف المدن السعودية وأكبرها وأكثرها ضبطا وربطًا ويحكمها أمير مهيب هو الأمير سلمان ـ هذا رأى كل من يعرفه عن قرب أو يراه عن بعد . . وهو القارئ الأول لكل الصحف العربية وتربطه صلات شخصية بكل كتاب العالم العربى . كيف؟ إنها مقدرته الفذة . .

فما الذى يحدث فى هذه البلاد ؟ .

إنها بسرعة هائلة تتطور وتتغير . . والفخامة فى كل مكان . . والجبال يشقونها أنفاقا وطرقا . . ولا يكاد الطريق يتم رصفه حتى تتدلى من فوقه اللمبات الكهربية . مئات الأميال . . ألوف الأميال . . وإلى جوار البيوت والقصور والفلل التى يملكها صغار الموظفين تقام المستشفيات المجانية لكل الناس . .

بمنتهى الصراحة : المواطن السعودى (دلوعة) الدولة . . فعنده كل شىء . . اذهب إلى سوبر ماركت وأنت لاتجد فارقًا بين المواطن الأمريكى والأوروبى والمواطن السعودى . . فأمامك كل فواكه الكرة الأرضية فى مواسم الصيف والشتاء . . وأمامك كل أنواع عسل النحل والشاى والقهوة والبهارات . .

وهى جميعًا فى متناول جميع العاملين الأجانب وغير العاملين أيضًا من الذين جاءوا لكى يحجوا فقرروا البقاء . . هم الذين قرروا ذلك وهى مشكلة اجتماعية وأمنية وهى تبرر التشدد فى مراقبة الداخلين والخارجين من السعودية . والداخلين أكثر . فقد رأت أجهزة الأمن السعودية العجب فى سلوكيات حجاج بيت الله الحرام الذين يهربون المخدرات .

وفى كل عام يضاف جديد إلى بيوت الناس وحياة الناس وخدماتهم وطعامهم واستقرارهم ـ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . .

(٢)

سألت فى المدينة المنورة : يا أولاد الحلال هل يعرف أحد أين بيت الشيخ إبراهيم العياشى ؟ . .

لم يعرفه أحد . فالرجل قد مات من عشر سنوات . وإن كان قد مات قبل ذلك بعشر سنوات أخرى . كيف ؟ .

لقد كان واحدًا من مؤرخى المدينة المنورة . أمضى من عمره عشرين عامًا فى تحقيق مكان (الحجرات) . . والحجرات معناها الغرف التى كان يعيش فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع زوجاته . الحجرات الآن فى داخل المسجد النبوى . ولكن الشيخ العياشى أثبت أنها أبعد قليلا من موقعها .

إن الزوجة قد ضاقت به تماما كزوجة الفيلسوف سقراط . . . فما كان من الزوجة السعودية إلا أن أحرقت كل أبحاث زوجها الذى وقع ولم يقم ـ لقد أصابه الشلل ! .

وكان أستاذنا العظيم سقراط فيلسوفًا بلا عمل . . فأوجدوا له عملا ، هو غسيل تماثيل مدينة أثينا من مخلفات العصافير . . ولم تجد الزوجة الإغريقية إلا حلا واحدا وهو أن تلقى بالماء القذر فوق دماغ الزوج العظيم ، آسف ليس زوجا عظيما ، وإنما هو فيلسوف عظيم . . وكان سقراط يضحك ويقول : زوجتى كالسماء : رعد وبرق ثم أمطار بعد ذلك ! .

وظهر الشيخ العياشى فى التليفزيون المصرى ، ولم يستطع أحد أن يتابع كلمة واحدة مما يقول . . فصوته صارخ نحيف ويتكلم بلهجة بدوية . . ثم إن ٩٩٪ من المشاهدين لايعرفون معنى كلمة (الحجرات) التى لم يشرحها للناس ! .

وكان الشيخ العياشى يمشى مكسور الظهر مهزوز الخطوات . . وكانت عنده وعندى مشكلة . كل يوم يجىء بالتاكسى وفى جيبه صور لبنات صغيرات ، إنه يريد أن يتزوج . ويجد من يأتى له بعرائس دون العشرين وأتساءل وأستنكر ذلك . ولكنه يقول : والله إننى قوى وحيويتى كما ابن الأربعين وأنا فى الثمانين . صدقنى والله ! .

وفى يوم جاءنى ومعه فتاة صغيرة وأمها ، وأشار إلى الفتاة وقال : زوجتى . اسألها . اسألها كيف حالى معها ؟! .

ولم أسأل طبعا . وقالت العروس وأمها فى نفس واحد : شاب ما شاء الله وبعدها بأسبوع مات الشيخ إبراهيم العياشى . يرحمه الله . . فلم ترحمه لا زوجته الأولى . . ولا الثانية ! .

آسف يا صاحب الجلالة

(١)

فى مناقشة منذ سنوات فى مجلس الشورى عن عدد المصريين فى الخارج ، اختلفت الآراء . . وزير الداخلية قال : عددهم (يمكن) خمسة ملايين . . ووزير الهجرة قال : لا . . إنهم أقرب إلى أربعة ملايين . .

ولم نعرف أيهما أقرب إلى الصواب . وكلاهما وزير مسئول . . فهل هم أقرب إلى خمسة ملايين أو أقرب إلى أربعة ملايين . . وما حدود القرب والبعد . . هل القرب بالألوف أو بمئات الألوف . .

ووقفت أقول : إننى كنت فى أستراليا سنة ١٩٥٩ وكان عدد المصريين هناك ثلاثة . . واحدة مصرية تزوجت أحد الرياضيين وأنا وواحد ثالث فى السجن لأنه دخل البلاد بغير إذن ! .

ورأيت أستراليا بعد ذلك بخمسة وعشرين عاما . فقيل لى : إن عدد المصريين يصل إلى ربع مليون . وقيل : إلى نصف مليون . . وقيل : بل يزيدون فى مدينة سيدنى وحدها عن مائة ألف متخانقين . . كأنهم لا يزالون فى شبرا أو بولاق أو فى قطار الصعيد

أو مولد شيخ العرب السيد . .

ورجعت إلى مصر أسأل عن العدد الحقيقى فلم أجد أحدا يعرف . وقيل : إن بعض المصريين يسافر إلى العراق متخذا طريقا إلى النمسا . . أو من النمسا إلى فرنسا . . فلا أحد يعرف . . ولا أحد من المصريين يذهب إلى أية جهة مسئولة يخبرها بسفره أو بقدومه أو أنهم يحومون حول السفارة ولايدخلونها لأسباب مختلفة أو متخلفة !! .

واستأذنت الزملاء المحترمين فى مجلس الشورى ورئيس المجلس أن انتهز هذه الفرصة وأعتذر للمغفور له الإمام أحمد ملك اليمن . . فقد حدث أن سألته فى مؤتمر صحفى فى مدينة تعز عن عدد سكان اليمن . فقال : إنهم ـ ما شاء الله ـ ما بين خمسة وأربعين مليونا ! .

وضحكت ولم يضحك الإمام ولا الزملاء . . ومع ذلك مضيت فى الضحك . وظلت الوجوه حولى جادة صارمة . كأن الذى قال صحيح . أو كأن أحدا غيره لم يجرؤ أن يعلن مثل هذا الرقم التقريبى بين الخمسة وبين الأربعين مليونا !!

ولذلك وجب الاعتذار بعد حوالى أربعين عاما . . فنحن فى مصر لم نذهب إلى علمنا بعدد المصريين فى الخارج إلى أبعد وأدق مما ذهب إليه الإمام فى عدد الشعب اليمنى ! .

(٢)

كل واحد ينام على الجانب الذى يريحه ـ بديهية عند الحيوان والإنسان ـ الإنسان والحيوان والطيور تفعل ذلك . انظر إلى الكلب إلى القط قبل أن يتكوم نائما على الأرض . إنه يدور حول نفسه ويدور . . ثم يرتمى نائما ! .

والحيوان والإنسان ينتقل من مكان إلى مكان فى الصيف والشتاء فى الدولة الواحدة ، أو بين الدول والقارات . . فالطيور تهاجر والأسماك والإنسان أيضا . وفى (العهد القديم) فى سفر (أرمياء) أن طيور اللقلق والسنوءو واليمامة تعرف ميعادها . . أى تهاجر فى أوقات محددة تهتدى اليها بالغريزة . .

وحاجات الإنسان هى التى تدفعه إلى أن يغير الجبل إلى الوادى . . والصحراء إلى الشاطئ . . وبلاده إلى بلاد أحسن وأغنى وأهدأ وأكثر أمانا . . فى كل التاريخ حدث ذلك . . وجاء إلى مصر النبى يعقوب وأولاده ، وجاء السيد المسيح ووالدته العذراء . . وخرج من مصر موسى وبعد أربعين عاما وقف على حدود أرض المعاد (من غير ياء) ومات ولم يدخلها . .

وبعد أن اكتشف كولومبوس أمريكا سنة ١٤٩٢ شحنوا أبناء أفريقيا بالكرباج إلى أمريكا ، وهاجر الأحرار المعذبون من أوروبا إلى

أمريكا . . وقامت أمريكا على المهاجرين من كل القارات . .

وعند مدخل ميناء نيويورك يقف تمثال الحرية هدية من فرنسا سنة ١٨٤٤ وهو لفتاة حطمت أغلالها ورفعت مشعل الحرية ، وعلى قاعدة التمثال نقشوا أبياتا للشاعرة اليهودية إيما لازاروس (١٨٤٩ ـ ١٨٨٧) تدعو المعذبين والمضطهدين والفقراء إلى أحضان الحرية والتسامح .

وفيما بين ١٨٣٠ ـ ١٩٣٠ هاجر إلى أمريكا مائة مليون من كل لون ودين ومذهب . .

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية بدأت بريطانيا تشكو من (نزيف العقول) أو هجرة العقول إلى أمريكا . . فالضرائب البريطانية باهظة والعلماء غير قادرين على الحياة . .

وعندما دخلت قوات الحلفاء ألمانيا ، خطف الروس عددا من العلماء الألمان ، وكذلك الأمريكان نقلوا قاعدة إطلاق الصواريخ والعلماء الذين وضعوا أمريكا فى مدار حول الأرض لتلحق بالروس ثم تتفوق عليهم . . ويقال : إن قمرا روسيا التقى بقمر أمريكى ، وكلاهما يجهل لغة الآخر فقالا فى نفس واحد : إذن لنتكلم الألمانية !

ولا حدود لتداول الخبرة والعلماء ولن يوقف الهجرة أحد . . ولا بكاء على ذلك . . فكل عالم وفنان تذهب به حريته إلى حيث يستريح ويبدع . . !

نعم .. كائنات فوق !

(١)

عندما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى ، كان يعنى ما يقول . فهو رب ألف أو مليون مواطن قد ملك طعامهم وشرابهم وأرزاقهم . فهو ملك عليهم . عليهم فقط . ولايعرف حدود الأرض التى يعيش عليها ، ولا حدود الكون الذى خرجت منه هذه الأرض . هو قال أنا ربكم الأعلى ، وهم قالوا له : آمين !

والذى وقف فوق برج بابل وقال ، وردد الشعراء وراءه ، أنه أعلى من الشمس والنجوم ، كان رجلا قويا مغرورا جاهلا . لكنه قال ووجد من يقول له : صدقت !

وحتى العلماء الذين كانوا على يقين من نظرياتهم أثبت العلم بعد ذلك أنهم كانوا ساذجين . . فأعظم العقول العلمية التى خلقها الله هى إسحاق نيوتن عندما اكتشف قوانين الجاذبية ورصد حركة الأشياء والأجرام السماوية قال : إن الكون دقيق . . ومنظم . ولايخرج عن نظامه . وأنه هو شخصيا قد عرف سر الكون !

وكان مخطئا هذا العبقرى . . فقد زادت معلومات الإنسان عن الكون . وظهرت عقول جبارة تؤكد أن نيوتن كان غارقا فى الخطأ .

فالكون ليس منضبطا هكذا . وإنما هناك ظواهر فى الكون لاتستطيع أن تفسرها بقوانين نيوتن . .

بل إن فى الكون (عدم انضباط) . . أو أن بعض القوانين يمكن تطبيقها وبعضها يستحيل . لماذا ؟ لانعلم . . فالله سبحانه وتعالى لم يطلعنا على كل أسرار حكمته . . إننا فى مرحلة الحضانة الفلكية . .

ولاتزال الصورة الجميلة الساحرة الصوفية للفيلسوف الوجودى الألمانى هيدجر هى الصورة ولا صورة غيرها . كان يقول عن نفسه : إننى ركعت عند قدمى معبودتى . وأحنيت رأسى وأطلت الركوع والسجود صابرا سعيدا بذلك . ولكن معبودتى لم تطلعنى إلا على القليل جدا من أسرارها !

أما معبودته فهى : الحقيقة !

وجاء علينا حين من الدهر عرفنا أن النجوم التى نراها فى السماء ليست موجودة فى السماء الآن . . كيف ؟ إن هذه الصورة التى تراها فى السماء هى نتيجة للأضواء التى بعثت بها هذه النجوم من ألوف السنين أو من ملايين السنين . . وقد تكون هذه النجوم ليست موجودة الآن أو غيرت وضعها . . أو ماتت أو ابتلعتها نجوم أخرى . . فالنظرة إلى السماء هى نظرة إلى ماضى الكون وليست إلى حاضره . . فما الحقيقة ؟ هذه هى الحقيقة . حقيقة قدرتنا وحقيقة الكون وأبعاده وابتعاده عنا . . فهناك نظرية أخرى تقول : إن الكون يتباعد بسرعة هائلة . . ولن تمضى ألوف ملايين السنين حتى ينكمش ويتكثف ويتكثف حتى يعود كما بدأ : ذرة تنتظر أمرا من الله أن تنفجر كونا جديدا !

(٢)

تستطيع أن تقف فى نافذتك وترى بضعة ألوف من النجوم فى السماء . ولكن إذا ذهبت إلى الواحات المصرية حيث الهواء ليس ملوثا . . وحيث السماء فوقك قريبة ، وبها من النجوم مالا تستطيع أن تعده بالعين المجردة . . فإذا وضعت على عينيك تلسكوبا متواضعا فسوف يتضاعف عدد النجوم . . أما إذا دخلت مرصدا فلكيا فكل ما تراه بالعين المجردة هو ملايين . . ألوف الملايين من النجوم . .

وأضعاف هذه الملايين تسجلها المراصد المدارية ، أى التى تدور فى مدار حول الأرض . . وهذا الذى تسجله المراصد المدارية ليس كل النجوم . . ليس كلها سوداء . . وإنما هى مساحات تشغلها نجوم بعيدة جدا عنا . . أو أن هذه المساحات السوداء هى مادة سوداء ـ هذه المادة تملأ ٩٠٪ من هذا الكون !

وهذه المادة السوداء جزء منها يسمى (الثقوب السوداء) . والثقوب ليست ثقوبا . . . ولكن إذا فرضنا أن الكون مثل فستان حرير من الترتر . . فالمساحات بين حبات الترتر ، هى هذه الثقوب السوداء . . فكأنها ثقوب خالية من الترتر . .

ثم إن هذه الثقوب ليست إلا نجوما بها جاذبية قوية جدا . هذه الجاذبية تشد النجوم والتراب والغازات التى حولها وتمتصها

وتبتلعها وتسحبها إلى أعماقها . . ولأن الجاذبية هائلة فإنها تبتلع أشعة الضوء الصادر عنها لأن الضوء مادة أيضا ومادامت قد ابتلعت الضوء ، فالضوء لايصل إلينا ، وإذا لم يصلنا فنحن لانراها ، ولذلك تبدو لنا سوداء . .

وهذه الثقوب السوداء تتحول بمرور ملايين السنين إلى كتل جبارة . ولو حدث أن أفلتت ذرة واحدة طولها واحد على مليون من المليمتر ، فإنها تخترق الكرة الأرضية وتخرج من الناحية الأخرى إلى هذا الدرجة قوية جبارة لايقاومها ولا يقوى على اعتراضها أى جسم فضائى !

وفى أوائل هذا القرن أفلتت ذرة من الثقوب السوداء وسقطت على سيبيريا فأذابت الجليد وأحرقت الغابات وأضاءت أوروبا كلها شهورا ، ثم نفذت من الكرة الأرضية كلها إلى الفضاء الخارجى . . ولانعرف أين ـ سبحان الله !

ويؤكد العلماء أن من مثل هذه الذرة الضئيلة جدا خلق الله هذا الكون !!

(٣)

إذا كنت قد قرأت المقالات السابقة ولم تشعر بملل فيمكنك أن تمضى فى القـراءة . . فـإن الكون حـولنا هو درس لا نهـاية له فى العبادة والإيمان والتواضع أيضا . .

ونحن من أربعين عاما اتجهنا إلى السماء فوقنا نحاول أن نلمس أطراف الكون ـ الأصح أن يقـال : أننا نحـاول أن نلمس أطراف المجموعة الشمسية التى هى عند أطراف المجرة ـ التى بها ألف مليون نجم . . والتى هى واحـدة من مـجـرات أخـرى عـددها ألف مليـون مجرة !

وليست سفن الفضاء إلا ترمومترات وكاميرات نسجل بها ما فوقنا أو تحتنا أو ما حولنا . .

ملحوظة : إن كلمات فوق وتحت لا معنى لها فى هذا الكون . . فكل ملليمتـر هو فوق وتحت وشـمـال ويمين . وكل ذرة هى مـركـز الكون الذى لا نعـرف له أولا ولا آخـر . . ولا نعـرف إن كـان هذا (هو) الكون أو أن هناك ألوف ملايين الأكوان الأخرى !

ونحن نحاول أن نجد منصة فضائية ـ نقفز منها إلى الكواكب الأخرى . . ونحاول أن نجد أحد الكواكب صالحا لمنصة فضائية أخرى أو نضع مرصدا فضائيا فوق أحد النيازك أو ملايين الكتل الحجرية الضالة فى هذا الفضاء ، أو ورشة أو نقيم مستعمرة

يسكنها العلماء . . ونحاول أيضا أن نعيش فى أحد الكواكب بعيدا عن الأرض أو هربا منها . . وإذا كنا قد عرفنا الهجرة من دولة إلى دولة ومن قارة إلى قارة . . فسوف نقوم بالهجرة الفضائية من كوكب الأرض إلى القمر الذى هو تابع للأرض أو إلى كواكب أخرى فى المنظومة الشمسية وفى منظومات أخرى . . والطريق طويل وصعب ولذلك نحن طلبنا من سكان الكواكب الأخرى فى هذه المجرة أن يساعدونا . ولكى يساعدونا لابد أن يعرفونا . . أى أن يشعروا بنا . . ولذلك أرسلنا إليهم سفن فضاء تحمل متحفا ومعرضا بالصوت والصورة للحياة النباتية والحيوانية والإنسانية على كوكب الأرض . . لعلهم يعرفون أين نحن . . ونعرف أين هم ونتبادل المعلومات ، فإن كانوا أعظم وأكثر تطورا ساعدونا على حل مشاكلنا وما أكثرها !

ونحن لا نتوقع أن تصلهم رسالتنا هذه إلا بعد ألوف السنين . . وكل ما نحلم به هو أن تخدمنا الصدفة . . أى أن يصادف هذا المتحف الفضائى سفينة من عالم آخر . . مجرد صدفة فيعرفونا . . والسفينة الإنسانية تشبه تلك الزجاجات التى كانت تلقى بها السفن الغارقة وفيها معلومات عن موضع السفينة الغارقة لعل أحدا ينقذها . . وكثيرا ما وصلت الزجاجات بعد أن غرقت السفينة بمئات السنين !

(٤)

فى المؤتمر الذى عقده رائد الفضاء السعودى الأمير سلطان بن سلمان قابلت عددا من رواد الفضاء . جلست إلى الروسى تينوف وسألته . فقال لى : إنه عندما انطلق حول الأرض كان مشغولا برؤية بلدته . . وأحيانا الشارع الذى ولد فيه . . ثم بيته . . وبعد ذلك فكر فى أن يرى موسكو وحدها . . وبعد ذلك الاتحاد السوفيتى . . ثم الولايات المتحدة الأمريكية . . ثم الكرة الأرضية . . ووجد الكرة الأرضية كرة صغيرة حولها رغاوى الصابون . . . الكرة زرقاء لأن ٨٠٪ مسطحات مائية . . وبعد ذلك اتجه إلى الناحية الأخرى يرى الفضاء أسود فاحما . . والشمس كرة من النار . . ورأى مالا نهاية له من النجوم . .

وقال لنفسه : ياه . . هل نحن بهذه الضآلة . . إن السفينة ليست إلا ذبابة تدور على ارتفاع مئات الكيلو مترات من الأرض !

وعندما ارتفع رائد الفضاء الأول جاجارين ذلك الجندى البسيط الساذج الشيوعى الذى لايؤمن بوجود إله إلى مدار حول الأرض قال ساخرا من ألوف ملايين المؤمنين : لقد صعدت إلى السماء ولكنى لم أجد الله !

إنه شاب عبيط ليس أكثر من راكب تاكسى . . هذا التاكسى

له دريكسيون على سطح الأرض ويديره العلماء . . فهو فقط يرى ويرصد . . فلا هو الذى طلع ولا هو الذى نزل . . وإنما العلماء أطلقوه وأداروه واستردوه . . وقد صورت له سذاجته أن الله يمكن رؤيته على ارتفاع مائة كيلو من فضاء لا حدود له . . ولأنه ساذج تصور أن الله فوق قد جلس فى انتظاره لتحيته كأنه محافظ أحد الأقاليم السوفيتية . . شاب عبيط . . فهو لايعرف أن الله موجود فى جناح بعوضة . . أن حكمته فى كل مكان وفى كل شىء . . ولكنه إنسان صغير لايعرف . .

وقد نبهه العلماء إلى إصلاح هذه الغلطة فكان جاجارين عندما يسألونه عن الفضاء يقول : أنا لست عالما . . أنا جندى بسيط صدرت لى الأوامر بأن أتدرب على قراءة اللوحات الإلكترونية وعلى احتمال ضغوط الهواء وأن أدخل السفينة وأن أنام . . أن آكل . . أن أشرب . . ولا أعرف فى الفلك إلا القليل جدا . . ولا أعرف شيئا من الفلسفة ونشأة الكون !

وهو اعتذار عن العبط الذى قاله عندما دار حول الأرض يسخر من الأديان التى تقول بوجود الله . . لأنه هو شخصيا لم يره فوق . . مع أن (فوق) هذه ليست إلا واحدا على ألف مليون مليون مليون مليون جزء من أبعد المجرات إلينا ـ ولكنه لايعلم !

(٥)

من أين جاءت فكرة أن هناك كائنات عاقلة أعقل أو أقل عقلا منا !

جاءت من المنطق . . من العقل الذى يقول : لايوجد أى سبب لأن نتصور أننا وحدنا الكائنات العاقلة فى هذا الكون . اشمعنى ؟ فما دامت الحياة ممكنة على هذا الكوكب فلماذا لا تكون كذلك فى كواكب أخرى . . وإذا كان كل نجم فى الكون تدور حوله الكواكب مثل الشمس ، فإن عدد الكواكب فى هذا الكون لابد أن يكون بليون بليون بليون بليون كوكب . . أى أن فرص الحياة بعدد هذه الكواكب . . . وإذا عرفنا أن الأقمار التى تدور حول الكواكب فى المجموعة الشمسية هى أكثر من خمسين قمرا . . فكم يا ترى عدد الأقمار فى هذا الكون ؟

إذن بالعقل لابد أن هناك إمكانيات لا أحد يعرف عددها لأن تكون هناك حياة أفضل أو مثل حياتنا أو دونها . لأن الإنسان ليس إلا تطورا طويلا معقدا متساميا لخلية واحدة حية . . خلية تطورت تركبت تعقدت ثم تطورت حتى أصبحت كائنا مستقيم الظهر يمشى على رجلين من حوالى مليون سنة .

ثم إن هذا الإنسان قد قفز بنفسه إلى السماء فى الأعوام الخمسين الماضية . . . فما الذى عساه أن يفعله هذا الكائن العاقل فى خمسين ألفا أو خمسين مليونا من السنين !

إن الفيلسوف الفرنسى رينان تمنى لو أنه ولد عند نهاية الحياة على الأرض ليشهد ما الذى حققه ذلك العبقرى الذى هو الإنسان !

وليس من المعقول أن يكون الله قد خلق هذا الكون الهائل لمجرد أن ننظر إليه . . أو لا ننظر . . فهل معقول أن يكون هذا الكون مجرد ديكور فى التطور الإنسانى . . هل من المعقول أن تكون كل المجرات والسدم والنجوم والكواكب والأقمار مجرد ترتر فى فستان السهرة الذى يرتديه الليل بعد غروب الشمس ؟!

بالعقل الجواب : لا !

ونحن صغار كانوا يقولون لنا : لماذا جعل الله السماء زرقاء ؟

ويكون الرد الذى ارتضيناه لأننا لا نعرف حكمة الله فى ذلك ، ولأنه يرضى غرور الإنسان هو : أن اللون الأزرق هو الذى يريح العين ؟ !

يعنى أن ربنا خلق السماء زرقاء لكى ننظر إليها ، فتستريح العين . بس كده ؟ أيوه بس كده !

وعند هذا الجواب يتعانق الغرور والجهل !

(٦)

إذن فالقول بأن الله قد خلق السماء زرقاء اللون لأن اللون الأزرق هو الذى يريح ،ليس إجابة علمية . .

ولكن عددا من مؤلفى الخيال العلمى لهم رأى آخر . وأصحاب الخيال العلمى هم الذين يتخيلون الذى كان والذى سوف يكون اعتمادا على المعطيات العلمية . . على النظريات الصحيحة . . ولكنهم يذهبون بها إلى أبعد فى المستقبل . أو إلى أبعد فى الماضى . .

وفى مقدمة مؤلفى الخيال العلمى الكاتب السويسرى فون دينكن والكاتب الفرنسى روبير شارو والكاتب الأمريكى أرثر كلارك . . وقبل هؤلاء جميعا مؤلفو ألف ليلة وليلة . . وقبل ألف ليلة هناك مؤلفو ملحمتى الإلياذة والأوديسة اللتين كان يتغنى بهما الشاعر الأعمى هوميروس . .

ففى ملحمتى الإلياذة والأوديسة نجد الآلهة يتحولون طيورا وحيوانات . . ثم إن هذه الكائنات تسكن فى أماكن بعيدة من السماء أو من أعماق البحر أو كهوف الأرض . . إنها كائنات ذات تكوين خاص . . وذات قدرة هائلة على تحويل التراب إلى ذهب والذهب إلى تراب والإنسان إلى حيوان والآلهة يسكنون مكانا

عاليا من جبال الأوليمب والبرناس . . أو فى كواكب أخرى ، إنهم ليسوا مثلنا . . بل هم أقدر وأعظم ولا يخضعون لقوانين الفكر الإنسانى . . إنهم فوق القانون . .

أو أن لهم قوانين خاصة بهم لا نعرفها . .

فنحن إذن أمام كائنات تتعايش مع الإنسان وتبهره بقدرتها وحريتها فى التنقل من أى مكان فى أعماق المحيط إلى أى مكان فى غياهب السموات . .

وفى (ألف ليلة) نجد المادة تتحول إلى عفاريت والعفاريت تتحول إلى حيوانات وطيور . .

وفى كتاب (مروج الذهب) للمسعودى حكايات عن كائنات استطاعت أن تحول أى شىء إلى ذهب . . فهذه الكائنات ليست أرضية . . وإنما جاءت من أماكن أخرى . .

ومعنى كل ذلك أن الإنسان ليس هو الحيوان العاقل الوحيد . . وإنما هناك كائنات أعقل وأقوى وأروع وهى تهبط علينا من حين إلى حين لأسباب لا نعرفها !

(٧)

القرآن الكريم يحكى لنا أن الملك سليمان أراد أن يبهر بلقيس ملكة سبأ (ولم يرد اسم بلقيس فى القرآن الكريم . وإنما بلقيس كلمة يونانية معناها الفاتنة) وقد علم أنها فى طريقها من اليمن إلى أورشليم . فتساءل : من يأتينى بعرشها ؟ يقول القرآن الكريم : ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك .﴾ و﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ .

يعنى أن العلم والعلماء أكثر (عفرتة) من العفاريت . وهذا ما حدث وسوف يحدث . فالعلماء قد دفعونا إلى حيث لايستطيع الجن والعفاريت . أى بالعقل المتطور والذى لايتوقف عن ارتياد المجهول وكشف المستور فى كل المجالات . .

وفى كل الكتب القديمة فى الصين والهند والتبت ما يؤكد أن هناك كائنات أخرى جاءت واختفت . . كيف ؟ هذا ما قالوه . .

ولكن عددا من العلماء أصحاب الخيال أكدوا لنا أنه حدث بالفعل أن جاءت كائنات من مكان ما من الكون . وهبطت على الأرض . وتركت آثارها . وكما جاءت اختفت .

ومن عشرين عاما أصدرت كتابين هما : الذين هبطوا من السماء . . والذين عادوا إلى السماء . . وفى الكتابين صور لما تركته

هذه الكائنات على أرضنا . . تركت لوحات ونقوشا وصورا ومعادن من ذهب وفضة . . وتركت خرائط . . وظهرت للناس على شكل بقع من الضوء الهارب . . أو كتل من النار تدور فى السماء وتختفى .

ولقد رأى هيرودوت كرات النار فى سماء مدينة منف . ثم رأى المؤرخون القدماء كيف استطاع الكهنة المصريون أن يرفعوا أعوادا من الحديد فوق الأرض . . أى أن الكهنة المصريين قد جعلوا منطقة انعدام الوزن قريبة من سطح الأرض ولذلك تطايرت أعمدة الحديد . .

ونحن لم نعرف منطقة انعدام الوزن إلا على ارتفاع مئات الكيلو مترات عن الأرض . . ثم إن الأمريكان والروس قد صنعوا فى معاملهم مناطق انعدمت فيها جاذبية الأرض لكى يدربوا فيها رواد الفضاء على الحركة والحياة قبل انطلاقهم فى سفنهم إلى منطقة انعدام الوزن حول الأرض . كيف حدث ذلك فى الماضى ؟ نحن لانعرف . . والحكايات والخرافات كثيرة !

(٨)

فماذا وجد هؤلاء العلماء أصحاب الخيال الواسع والذى ليس جامحا . . ولا هم عندما بهرونا كانوا خرافيين مخرفين . .

وقد أصابنى شىء من ذلك عندما كتبت عن الذين هبطوا والذين عادوا .

وقالوا : تخاريف . . خزعبلات . . حكايات لكى أشغل الناس عن السياسة وعن الدين . . وقالوا . . وقالو الكثير من الكلام الذى لا قيمة له . .

وقد لاحظ هؤلاء العلماء : فوندنيكن وشارو وكلارك وعشرات غيرهم أن هناك آثارا فى المتاحف والمعابد لم تكن مفهومة لنا . . ولكن بدخولنا فى عصر الفضاء أصبحت مفهومة تماما .

ففى سفر حزقيال من «كتاب العهد القديم» الإصحاح الأول : يقول بالحرف الواحد : فنظرت وإذا بريح عاصفة . جاءت من الشمال سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن سطحها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار ومن وسطها تشبه أربعة حيوانات وهذا منظرها . لها شبه إنسان . . ولكن واحدة أربعة أوجه ولكل واحدة أربعة أجنحة . وأرجلها أرجل قائمة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول .

وأيدى إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة . . وأجنحتها

متصلة الواحد بأخيه . لم تدر عند سيرها . كل واحد يسير إلى جهة ووجهة . أما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه أسد لليمين ووجه ثور من الشمال لأربعتها ووجه نسر لأربعتها . . أما شبه الحيوانات فمنظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح . . وللنار لمعان ومن النار كان يخرج برق . . أما آخرها فعالية مخيفة . . وآخرها مليانة عيونا . . فلما سارت سمعت صوت ضجة كصوت جيش . .

ومن المؤكد أن أرى الذى رآه النبى حزقيال هو سفينة فضاء متطورة جدا جاءت من بعيد جدا . وهبطت أمامه كما تهبط طائرات الهليكوبتر . . وهذا مالم يخترعه العلماء حتى الآن!! وكان فقهاء الشريعة اليهود والمسيحية يفسرون هذا الذى رآه حزقيال على أنه نبوءة سوف تحدث . والحقيقة أنها حدثت بالفعل . ووصف حزقيال لها فى غاية الدقة . فالدهشة والانبهار لم تمنعه من أن يرى بوضوح ويصف بمنتهى الدقة هبوطها وحركتها ونزول رواد الفضاء منها . . ثم كيف ابتعدت عن الأرض وكيف كانت أنوارها برقا ورعدا وترابا .

(٩)

ولما أعيدت قراءة الكتب القديمة فى آسيا وأوروبا ، عثر المؤرخون على أحداث وأشياء غريبة . وجدوا لها تفسيرا حديثا . ففى هذه الكتب عثروا على أعواد من الذهب الخالص لايمكن صهرها وصبها وتشكيلها إلا فى درجات حرارة عالية . لم تكن متاحة للإنسان من عشرة آلاف سنة . فمن أين جاءت ؟ ولماذا اتخذت هذا الشكل المستقيم الشديد النعومة ؟

وعثروا على فصوص من الألماس لها ملامح الوجه الإنسانى الرقيق . وهذا يحتاج إلى درجات حرارة عالية جدا . فكيف ؟

وعثروا على خريطة فى أحد متاحف استنبول . هذه الخريطة للهيئة الجيولوجية التى كان عليها القطب الجنوبى من ثلاثين ألف عام . التقطت من الجو واسمها خريطة (بيرى ريس) . وقد أكد علماء الجيولوجيا أنها دقيقة جدا . فمن الذى التقطها ولماذا ؟ وكيف وصلت إلى تركيا ؟ وما كان هدف الذين رسموها والذين احتفظوا بها ؟

ووجدوا فى جنوب فرنسا وفى النمسا وفى تنزانيا كهوف وعلى جدران الكهوف نقوش وبتحليل هذه النقوش بألوانها القوية وجدوا أنها لابد أن تكون قد صنعت من ثلاثين ألف سنة ؟!

وعلى حدود ليبيا والجزائر توجد منطقة جبارين . . وفى هذه

المنطقة عثر أحد المكتشفين الفرنسيين نقوشا على الجدران فى منطقة اسمها (تسيلى) . وبتحليل هذه النقوش وجدوا أن عمرها يعود إلى ٢٥ ألفا أو ثلاثين ألفا من السنين . أما النقوش الجدارية فهى للأبقار والخيول . وهذا يدل على أن هذه المنطقة كانت مزروعة بالغابات . . كما أن هناك رسومات أهم وأخطر لأناس قد ارتدوا ملابس رواد الفضاء والملابس شفافة . . وعلى الجدران أيضا لوحات للعقول الإلكترونية لسفن الفضاء أو الطائرات العمودية . .

ووجد الباحثون أن هناك تشابها بين النقوش والألوان فى مناطق كثيرة من العالم وذات أعمار واحدة . ومعنى ذلك أن شيئا ما قد حدث على الأرض . وأن كائنات نزلت فى أماكن متفرقة وعاشت لانعرف كم من الوقت . . واختفت لظروف لانعرفها . . ولابد أن يكون مجيئها لأمور هامة جدا . . فالمسافة بين الأرض وأى كوكب آخر خارج المجموعة الشمسية تحتاج إلى ألوف السنين الضوئية أى لو ركب أى واحد سفينة تمشى بسرعة الضوء (١٨٦ ألف ميل فى الثانية) لاحتاجت إلى ألوف السنين . ولكن لماذا ؟ وما أهمية الأرض ؟ !

(١٠)

ثم ظهرت الأطباق الطائرة . . والتى اتخذت اسما علميا هو (الأشياء الطائرة المجهولة UFO) . وظهرت الأطباق الطائرة فى أماكن مختلفة من العالم . . عشرات . . مئات . . ألوف المرات . . وكل الذى رآه الناس متشابه إلى حد كبير . . جسم سريع جدا مضىء . يظهر فجأة ويختفى فجأة . . وبدأ الناس يرون هذه الأطباق أقرب إلى الأرض . . ورأوا - أو خيل لهم أنهم رأوا - آثارها على الأرض . . زيوتا . . بقعا سوداء . . بقايا عجلات مطاط . .

وذهب الناس إلى أنهم رأوا هذه الأطباق تتفتح وينزل منها أناس يخطفون الحيوانات أو الأطفال . .

ثم قال أناس : إن الأطباق الطائرة خطفتهم وأعادتهم . . ولم يستطع هؤلاء الناس أن يقولوا كلاما واضحا . وكثرت الحكايات والروايات والخرافات . ولكن ظاهرة الأطباق الطائرة انتشرت فى العالم . وأصبحت حقيقة أو كأنها حقيقة لم يعد أحد قادرا على إنكارها . وكل الذى كان ينقص العلماء هو (جسم) هذه الأطباق . .

وكان لعلماء الفيزياء والفلك رأى هو الرأى . وهو أن هذه الأطباق يستحيل أن تكون قد جاءت من كواكب أخرى . . لأن الكواكب الأخرى التى يمكن أن تكون عليها حياة بالغة التطور تحتاج من هذه الأطباق إلى ألوف السنين أو عشرات الألوف .

فلماذا هذا المشوار الطويل ؟ ما السبب ؟ ما الحكمة ؟ ما المعنى ؟ ما فائدتها ؟

ولكن هؤلاء العلماء وجدوا أنه ليس من العلم أن يقطعوا هكذا بمثل هذا الرأى . . فمن يدرى ربما اكتشفت الكائنات الأعقل أشكالا وقدرات أخرى للتنقل بين الكواكب . . كأن تتحول أجسادهم إلى طاقة . وهذه الطاقة يمكن تجميعها على شكل مادة مرة أخرى . . وهذه المادة تتجمع بالقرب من جو الأرض أو على الأرض . . ولكن لماذا ؟

وقال علماء آخرون : ليس بعيدا أن تكون هذه الأطباق هى سفن تجسس سوفيتية أو أمريكية ؟ ! .

وتشكلت لجنة عالية المستوى فى أمريكا وجمعت كل ما قيل عن الأطباق الطائرة فى كل الدنيا . وكان لها رأى هو أنها أقرب إلى الهوس أو الهذيان !

(١١)

وتأكد العلماء الأمريكان من وجود كائنات هناك فوق . . أو هناك تحت ـ فكلمتا فوق وتحت لا معنى لهما . . ولكن اتجهت سفن فضاء أمريكية إلى حيث مصدر الصوت . . أطلق الأمريكان سفينة هى متحف ناطق ومصور لكل المعلومات عن كوكب الأرض وسكان الأرض . . ففى هذه السفينة صورة لرجل وامرأة . . أى ذكر وأنثى . . وصورة لموقع الأرض من المجموعة الشمسية وموقعها من مجرة (الطريق اللبنى) الذى يضم ألوف الملايين من النجوم مثل الشمس والتى تدور حولها تسعة كواكب وحول الكواكب أقمار . . وفى هذه السفينة أفلام ملونة للنباتات والحيوانات والغابات والطيور والأسماك . . وصور للإنسان عندما يولد وعندما يموت وفيه تسجيل صوتى بسبعين لغة من بينها اللغة العربية . . والعبارة العربية مكتوبة بخط النسخ ، كتبته إحدى الدارسات المصريات فى أمريكا . وفى السفينة أغنيات ومقطوعات موسيقية لبيتهوفن وأغان شعبية من كثير من البلاد . . وفيها صور للطائرات وسفن الفضاء والصواريخ . .

وكثير من المعلومات الألكترونية لمن يريد الاتصال بنا . . وصور للميكروب والجراثيم وتشريح للمخ ولكثير من الغدد فى الجسم الانسانى . . وتصوير لأمراض الإنسان وتلوث الماء والهواء . وخطوط بيانية لكثير من المشاكل التى يعانيها الإنسان والتى

لايجد لها حلا . . أى : إنا فى حاجة إلى مساعدة لعلاج المرض وعلاج الشيخوخة والموت . . وهل الموت مرض أو هو نهاية الصحة والمرض . . أى هل استطاعوا هم أن يقاوموا الموت فعاشوا مئات أو ألوف السنين ؟ !

وفى السفينة صور للانفجارات النووية والمفاعلات . .

وتساؤلات عن كيفية الوصول إليهم . .

ولا أحد يعرف كم من الزمن سوف تمضى هذه السفينة أو هذا المتحف أو الموسوعة الإنسانية فتكون فى متناول أحد . . أى أحد هناك فوق أو هناك تحت . . وكم ألف سنة سوف ينتظر سكان الأرض حتى يتلقوا ردا على ذلك ! .

أو هل هى الصدفة قد تدفع أحدا من سكان الكواكب الأخرى ليعثر على هذه السفينة وموقعها ويستوقفها ويفتحها . . فيعرفنا !

(١٢)

وقد كشفت سجلات المخابرات الروسية والألمانية الشرقية أن العلماء الروس قد أرسلوا سفينة مثل السفينة الأمريكية موجهة إلى من يعنيهم الأمر فى أعماق الفضاء ـ إن كان يعنيهم الأمر . وإن كنا نحن سكان الأرض مجهولين عندهم أو لنا قيمة من أى نوع عندهم ؟

وهل هم أسمى أو أدنى منا ؟ نحن لا نعرف . .

وقد تمضى السفينة الروسية أو السفينة الأمريكية ألوف أو مئات ألوف السنين دون أن يدرى بها أحد . . وقد تقع فى جاذبية أحد المذنبات أو ترتطم بحجر من ألوف ملايين الأحجار التى تهيم فى الفضاء بين الكواكب وحولها وحول الشمس وفى هذه المنظومة الشمسية أو فى غيرها من ألوف ملايين المنظومات . وقد تحدث صدفة وتكون هذه الصدفة نقطة تحول فى تاريخ الإنسان . . أو المنظومة الشمسية .

ويقال : إن الروس قد بعثوا بنماذج من المعادن أو من الزجاج للإنسان والحيوان . . كما أنهم أرسلوا أجهزة إلكترونية ونماذج للطائرات والصواريخ والأدوات الجراحية والموسيقية والزراعية . .

وكان القدماء إذا أوشكت سفنهم على الغرق فى المحيطات يرسلون إشارات الاستغاثة على شكل زجاجات بها رسائل .

والزجاجات مسدودة فتظل عائمة يقذف بها الموج فى اتجاه السفن الأخرى . . وكثير من هذه السفن قد بلغت الشاطئ بعد مئات السنين .

فمن يدرى ربما وصلت هذه السفن التى أطلقها الأمريكان والروس بعد ألوف أو ملايين السنين . . وعاد العلماء يؤكدون أن الرسائل اللاسلكية التى سجلتها المراصد الكبرى على الأرض ليست منتظمة وإنما هى متقطعة . . ومختلفة التردد . بما يؤكد أن هناك اتصالات بين كواكب أخرى بعيدة جدا . . ولكن هذه الموجات عالية التردد تقطع بوجود حضارات بالغة النضج . . ولذلك بدأت بعض المراصد تطلق إشعاعات رادارية . . أو موجات اختراقية . . بقصد لفت الأذن أو العين إلى موقفنا من هذا الكون . . أو من هذه المجرة وحتى الآن لا رد ولا صدى !

(١٣)

من شهرين نشرت مجلة (دسكفرى) العلمية الأمريكية نداء إلى القراء أن يبعثوا بخطابات إلى وزارة الدفاع الأمريكية يطالبون بحقهم فى أن يعرفوا حقيقة هذا السر الذى لم تكشف عنه أكثر من عشرين عاما . . ولم تكتف المجلة بالاتجاه إلى القراء ، بل نادت ملايين المشاهدين للتليفزيون . .

وأثناء الحملة الانتخابية للرئيس جيمى كارتر سأله الناخبون . فوعدهم . وانشغل الرئيس والناس أيضا . وبقى اللغز كما هو . . ونفد صبر الناس . ولا بد أن يكون علماء الفضاء والفيزياء والكيمياء قد تساءلوا . ولا أحد يعرف ماذا قيل لهم . أو ماذا قدمت وزارة الدفاع الأمريكية من وثائق لهم . فلعلهم هم أيضا قد عرفوا . وتواصلوا بالصمت . وازداد إيمانهم بأن هناك كائنات ما . وأنه يمكن الاتصال بهم . . أما هم فقد اتصلوا . ولم يقولوا كثيرا . أو قالوا شيئا غامضا . وكان لابد أن يذهب العلماء وحدهم وأن يعرفوا ، فالسماء مفتوحة والصواريخ طالعة نازلة والمراصد الفلكية لم تتوقف لحظة عن رسم الفضاء الخارجى وتسجيل رسائله اللاسلكية المنتظمة .

وكان العالم الكبير لينوس باولنج الذى يجلس على كرسيه الكيميائى المصرى أحمد زويل قد أعلن أكثر من مرة أن كل شىء يدل على أن حادثا جليلا سوف يقع . . ولو امتد به العمر عشرة

أعوام ، لكان واحدا من المشاركين فى هذا الحدث . . ولكن توفى باولنج من شهور .

أما الحدث الجليل الذى رآه ممكنا وأن كل شىء يدل على اقترابه ، فهو هبوط كائنات أخرى على كوكب الأرض . . فهو يرى أن هناك إشارات كثيرة وقعت فى الكواكب والنجوم حولنا تدل على أن قوى جبارة قد أحدثت تغييرات فى قوانين الأشياء . . وأن هذه القوى تساعد على إحداث تغييرات كيماوية . . أو بعبارة أخرى أن هناك قوى تحاول تفجير بعض النجوم لسبب لا نعرفه . . فقد لاحظ أن بعض القوانين الفلكية لم تعد تنطبق!! لقد حدث خلل!! أو تغيير عنيف فجأة . . وليس معقولا أن ينقلب الكون على نفسه ، ولكن هناك تدخلا غريبا سوف تظهر نتائجه بعد سنوات !

(١٤)

رأى آخر يقول : إنه فى زمن الأزمات النفسية أو السياسية تظهر أشياء خارقة لقوانين الطبيعة . . فنجد طفلا صغيرا يقع من الدور السادس فوق سيارة مارة دون أن يصاب بأذى . كيف ؟

يذهب مريض السرطان إلى رجل طيب فى إحدى غابات تنزانيا فيلمسه بأصابعه فيختفى السرطان . ويحاول المرضى أن يعثروا على هذا الرجل الساحر ، فلا يجدونه . واحد ثالث يتوقف قلبه عشر دقائق ويتأكد الأطباء أنه مات . وفجأة يعود الرجل إلى الحياة . فما المعنى ؟

المعنى أن هناك إشارات من السماء بأن هناك قدرة خفية تساعد الإنسان . . إذ تحاول أن تذكره بأنها موجودة . ، . وأن الإنسان إذا كان عاجزا ، فإن هذه القدرة ليست كذلك . .

وأن هذه الأحداث الفردية المتناثرة فى أماكن مختلفة من الأرض تؤكد للإنسان أنه ليس وحده . . أو أن الإنسان هو الذى يؤكد لنفسه أنه ضعيف وأنه فى حاجة إلى مساعدة . . وأنه أحيانا يلقى هذه المساعدة إذا كان يستحقها ، ولا يلقاها معظم الوقت لأنه قد أصبح شريرا يستحق العقاب وأن تتخلى عنه السماء !

وقد حدث فى الاتحاد السوفيتى على أيام جورباتشوف أن تكلم الناس عن الأطباق الطائرة . . وأنها ظهرت فى الريف وفى سماء

العواصم وفى وقت واحد . هل رأى الناس ذلك ؟ أو توهموها ؟ . ولكن من المؤكد أن الحيرة السياسية والنفسية والاجتماعية التى دوخت الشعوب السوفيتية وأدت إلى تفكك الجمهوريات والخوف من المستقبل المجهول والحاضر الأليم ، هى التى ملأت السماء بالأطباق الطائرة . . كما حدث فى القارات الخمس قبل ذلك ولسنوات طويلة . .

فما كان من جورباتشوف إلا أن نفى هذه الخرافات . وهدد بسجن كل واحد يردد شيئا هكذا . . وجورباتشوف خائف أن تكون الأطباق الطائرة مقدمة للعودة إلى الدين وما وراء الطبيعة . . وكلها بداية الهدم للشيوعية التى آمن بها ولايزال !

ورغم أنف جورباتشوف انفتحت الكنائس والمساجد وعاد الناس إلى الدين . . الدين كان عميقا فى وجدان الملايين . . ولم تفلح الشيوعية فى القضاء عليه . . صحيح أنها قفلت كل أماكن العبادة بالضبة والمفتاح ولكن لم يكن ولن يكون لها سلطان على القلوب !

لا مبالاة..

صور وأشكال وألوان عدم المبالاة فى حياتنا ليس لها عدد . أضرب لك مثلا ، إلى جوارنا تظهر خادمة كل يوم تنفض التراب من فوق كليم قديم جدا كأنه قطعة من الطين . وتحت ضربات الخادمة الشابة يتساقط التراب على الناس اللى تحت . . أما صوت المقشة فوق الكليم فيصفع آذان مئات الناس . إذن نحن أمام موقف مزعج يتجدد كل صباح . والناس غاضبون لذلك وغاضبات . انتهى موقف الناس من مصدر لإزعاجهم كل يوم !

لم يذهب أحد إلى حيث تعمل الخادمة يستنكر ذلك أو يهدد بالبوليس . وإنما أكثر الناس غضبا وقف فى النافذة أو البلكونة يمصمص شفتيه ويهز كتفيه ويلعن هذه الأيام ويترحم على أيام زمان عندما كان الجار يرعى الجار ، والصديق قبل الطريق . وأيام كانت الخادمة مؤدبة لدرجة أنها كانت تستأذن الكليم قبل أن تصفعه على خديه !

انتهى موقف أكثر الناس سخطا على هذه الأيام وهذه الخادمة !

طبيعى جدا أن تظهر الفتاة فى اليوم التالى وتقوم بنفس الخبط والرقع وإسقاط التراب ووجع أدمغة الجيران . وهى تفعل ذلك من

سنوات طويلة . وكل يوم تظهر هذه الخادمة أقول لنفسى : إن جيرانها يستاهلوا منها أن تضربهم بالجزمة وليس بالصوت والتراب !

ولو كانت قريبة منى ما سكت لحظة واحدة . ولكنى أتعجب لصمت هؤلاء العاجزين عن الشكوى اللامبالين براحتهم وراحة أطفالهم ومرضاهم . .

وقد تضايقت من سلبية الناس . فقابلت واحدا من المتضررين وقلت له : كيف تسكت على هذه الإهانة اليومية !

واندهش قائلا : إن الخادمة تأخذ لها خمس دقائق . . مش حاجة !

- يعنى أنت لست متضايقا بما تفعله ؟

- أنا ؟ آه . . زوجتى متضايقة جدا . ولكننا تعودنا على ذلك !

بقى أن أقول لك : إن سيادته أستاذ جامعى وزوجته أيضا - أعلى مراتب العلم والثقافة والمسئولية . .

المعنى : لابد أن تشكو أحدًا لأحد . . لابد أن تستعين بالسلطات فى كل كبيرة وصغيرة !

والمعنى أيضا : لدينا قانون ولدينا قضاة . ثم لدينا من يدوسون القانون ولدينا من يستهينون بحقوقهم . ولكن يجب ألا نسكت !

عبدالرحمن بدوى

(١)

وصلنا إلى حل واحد اتفقنا عليه وهو لا حل! فقد التقى عدد من تلامذة د . عبد الرحمن بدوى والمثقفين . وكان الموضوع : كيف يمكن استدراج د . بدوى إلى الحياة فى القاهرة ؟!

ووجدنا أسبابا وجيهة جدا لرفضه هذه الرغبة أو الأمنية . وتساءلنا إن كان يمكن منحه جائزة الدولة التقديرية . ووجدنا أنه ليس أسهل من ذلك . . ثم إن اثنين من تلامذته قد حصلا على هذه الجائزة : د . مصطفى سويف ١٩٩٣ وكاتب هذه السطور سنة ١٩٨٠ . فلايزال د . عبد الرحمن بدوى مستحقا لكل الجوائز الأدبية فى أى مكان من العالم . فالذى قدمه للفلسفة كثير جدا . ولكن الفلسفة قد كانت جنايتها واضحة عليه أكثر مما هى على تلامذته . . فالبحث المستمر والانصراف للقراءة والكتابة والحياة فى المكتبات العامة ، أدى إلى العزلة ونفوره من الناس . . كل أنواع الناس . فهو ليس اجتماعيا . ولا يريد . ولذلك فمفردات العلاقات الاجتماعية عنده نادرة أو لا وجود لها . . فهو لا يتصور أن أحدا قد

جاء لمجرد الفرجة عليه أو للحديث معه . . أو الإعجاب به . فكل هؤلاء مرفوضون دون مناقشة . .

أما كيف كانت الفيلا التى سكنها د . بدوى فى الكويت والتى اجتذبت عددا هائلا من الفئران حتى شكا جيرانه ، فقصة يرويها د . جابر عصفور . وقد أكدها لنا أقارب د . بدوى ـ أما هذا الشكل الشنيع للحياة فى داخل الفيلا فهى صورة حية تعيسة من البيت الذى كان يسكنه الموسيقار بيتهوفن !!

أما طريقة د . بدوى فى السير السريع دون نظر إلى أحد أمامه أو وراءه فإذا التفت إلى أحد فبكل جسمه ، فهى إحياء لسلوك الفيلسوف الألمانى شوبنهور والشاعر العربى البحترى والأديبة الروسية ماريا يشكرتشف . .

يعنى إيه ؟ يعنى لا أمل فى أن يعود . وتساءلنا : ما الحل إذا منحه المجلس الأعلى للثقافة جائزة الدولة التقديرية ثم رفضها ، كما فعل الفيلسوف الوجودى سارتر ، وكما قبل فلوسها ورفضها الأديب الساخر برنارد شو ؟!

كثيرون يؤكدون أنه سوف يقبل الفلوس ، ويرفض الجائزة التى جاءت متأخرة ثلاثين عاما !

(٢)

لاشك أنا من أشد الناس إعجابا بأستاذى د . عبد الرحمن بدوى . أستاذ الفلسفة وعالمها وباحثها والذى نقل إلى العربية كثيرا من المصطلحات الفلسفية التى لم نعرف لها مرادفا خصوصا الفلسفة الوجودية الألمانية التى دعانا إليها . واختلفنا حولها وحوله . وكنت أول من ألف كتابا عن (الفلسفة الوجودية) فى عبارة سهلة سنة ١٩٥١ . وقد أعجبه الكتاب ووجد من دواعى الأسف والحزن العميق أننى تركت التدريس فى الجامعة واستسلمت لمغريات الصحافة !

ولم تعرف الفلسفة مثل عبد الرحمن بدوى فى كل تاريخها العربى من تفرغ لها وقدمها وحشد حولها عددا هائلا من التلامذة والأساتذة الكارهين الحاقدين . . وإن كنت أرى أن الحقد هو النار التى يحتاجها كل من يصعد الجبال وحده إلى القمم الباردة !

ولم يحتج د . عبد الرحمن بدوى إلى من يعطيه حقه وينصفه . ولذلك فقد ألف الموسوعة الفلسفية وكتب عن نفسه أنه أول فيلسوف مصرى . . وكتب عن نفسه وعن فكره والذى أضافه إلى الفلسفة وماذا أخذ وماذا اعطى .

وعندما كنت طالبا فى قسم الفلسفة فى سنتها الأولى حضرنا مناقشة رسالة الدكتوراه لدكتور بدوى وكان موضوعها (الزمان

الوجودى) وكانت اللجنة مكونة من طه حسين رئيسا أما الأعضاء فهما حسن إبراهيم عميد الكلية وعلى عبد الواحد وافى أستاذ علم الاجتماع ومن أشد الناس كراهية لعبد الرحمن بدوى . ومن المستشرق الألمانى باول كراوس .

وظهر عبد الرحمن بدوى بطربوشه الأحمر القاتم وملامحه السمراء الجادة الصارمة والجاكتة الزرقاء الوحيدة وبنطلونها الرمادى وحزامها جلد الثعبان ـ حتى لا يتآكل العمر كله . .

أما الكرافتة فلا هى سوداء ولا زرقاء ولا حمراء ويقال : من جلد التمساح . . وأكثر الحاضرين معجبون به دون أن يعرفوا بالضبط ما الذى قال ويقول . وانتهت المناقشة وحمل الطلبة عبد الرحمن بدوى على الأكتاف وهو مالم يحدث فى الجامعات . إعجابا به وإغاظة لعلى عبد الواحد وافى .

ولكن المهم أن طه حسين قال : إنه أول فيلسوف مصرى ـ وكان حكما تاريخيا أسعدنا جميعا !

(٣)

يقيم د . عبد الرحمن بدوى فى فندق لوتسيا بباريس من ثلاثين . . من أربعين . . من خمسين عاما . وقد تغير شكل الفندق من الداخل والخارج وتناوبه عدد من الملاك . وبقى عبد الرحمن بدوى فى مكان ما من الفندق . . فوق . . تحت . . المهم أنه موجود هناك ويتوارث الموظفون أخباره وحكايته . ولأنهم فرنسيون فقد اعتادوا على عجائب عادات الفلاسفة والشعراء والرسامين . فمهما فعل عبد الرحمن بدوى فى مظهره ومخبره وأكله وشربه ونومه وزواره فهو لايضيف إليهم جديدا . فقد اعتادوا وتوارثوا وتواصوا بعباقرة المخلوقات . ووجدوا أن الشذوذ فى السلوك شرط من شروط العظمة . .

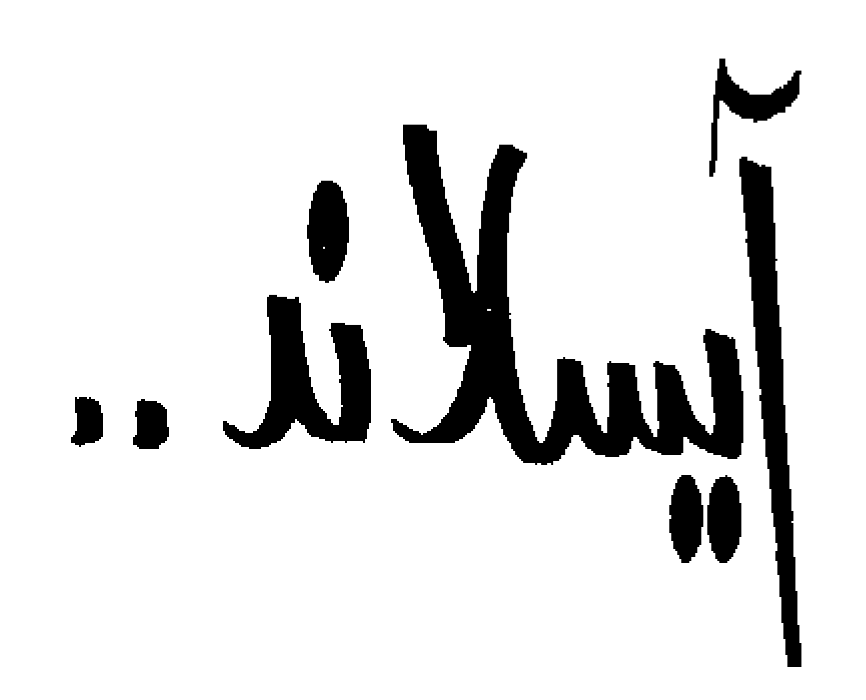
ولم أحاول أن أزوره . وإنما أكتفى بالتليفون لعله يدعونى . ولم يفعل . وفى يوم تلقيت خطابا رقيقا من د . بدوى ينعى إلى الشاعرة المصرية جويس منصور ابنة داود عدس . وهى بريطانية الجنسية ومصرية أيضا وتنظم باللغة الفرنسية شعرا شفافا عاريا . وهذا هو سر فتنتها . وبعث لى بمقال نشرته (الموند) فى نعى هذه الأديبة التى تحولت إلى الحزب الشيوعى . أما زوجها واسمه أنيس منصور ـ صدفة عجيبة ـ فهو رجل أعمال ناجح ومليونير . . شكرا لأستاذى د . عبد الرحمن بدوى .

ثم إنه أضاف فى رسالته أن أمر عليه إذا جئت إلى باريس .

وكانت هذه دعوة غريبة ، ومن الذى لا يلبيها حتى لو لم يكن طريقه يمر على باريس ، وذهبت إليه فى الساعة السابعة صباحا .

قيل لى : خرج . . فعاودت فى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى فقيل لى : أوه . . البروفيسور خرج !!

فتركت له رسالة أقول فيها : أستاذى د . بدوى والله العظيم ثلاثا لقد تناولت إفطارى ومستعد أن أدعوك إلى غداء وعشاء اليوم وغدا . لا تخف إننى أريد أن أراك فقط . . . لا قهوة ولا شاى ولا نسخة من أى كتاب من كتبك . . والله العظيم أوحشتنى يا أستاذ . صحيح أنا أعلم أن هذه العبارة الأخيرة ليس لها معنى عندك . ولكن لايزال لها معنى عندى ويؤسفنى ذلك . وقد حاولت جاهدا أن أتجرد من مثل هذه المعانى التى تشبه الديناصورات التى انقرضت ، ولكن لم أفلح . . مع إعجابى وشوقى إليك وأسفى - أسفى على الشوق وليس على الإعجاب بك . . تلميذك .



(١)

لم يقل لنا أحد من المعلقين الرياضيين الذين رافقوا فريق كرة اليد إلى آيسلاند شيئا واضحا عن هذه البلاد . وإنما تحدثوا إلينا وكأنهم فى غواصة أو فى كهف تحت الأرض . لعلهم كانوا مشغولين بتدريب الفريق والفرجة على الفرق الأخرى . ممكن .

هذه بلاد تقع بالقرب من القطب الشمالى . جليدية واسمها بلاد الجليد (آيسلاند) وإن كان اسمها بلغتها هى هو (ليد فلديرا) . وسكانها ربع مليون نسمة . وثلث هذا العدد فى العاصمة ريكافيك . والبلاد عبارة عن كتلة من البازلت عجنتها وخبزتها وألقتها فى البحر : عشرات البراكين من ملايين السنين والتى ماتزال ثائرة حتى خمسين عاما مضت عندما أخرجت للوجود عددا من الجزر .

والأرض رقيقة لا تنبت فيها إلا الأعشاب . ولا توجد بها شجرة واحدة . شيئان لايوجدان فى هذه البلاد : السكك الحديدية والأشجار . وأهل هذه البلاد يعيشون على صيد الأسماك . وفى خلاف دائم مع كل دول الشمال . فالصيادون فى حالة سطو

مستمر على المياه الإقليمية للدول الأخرى . ولذلك وقفت آيسلاند كثيرا أمام محكمة العدل الدولية .

وآيسلاند أقامت أول برلمان فى أوروبا سنة ٩٦٥م . وأهلها جاءوا من النرويج وعندما اتحدت النرويج والدنمرك ، اعتبرتها الدنمرك جزءا منها . وظلت كذلك حتى أعطوها حق الحكم الذاتى تحت التاج الدنمركى ثم استقلت نهائيا سنة ١٩٤٤ . ولكن الدنمرك لاتزال تنظر إليها على أنها الابن العاق الذى هجر بيت العائلة ليعيش على حافة الدنيا وحده .

وآيسلاند بها أعلى نسبة مواليد ، وأقل نسبة وفيات فى العالم . وهم فى مواجهة عناصر الطبيعة العنيفة يتمسكون بالحياة ويحرصون على البقاء والاستمرار . . وقوى الطبيعة هى البراكين والزلازل والسيول الجليدية والعواصف العنيفة والأمواج العاتية والأرض التى لا تزال تقذف بالمياه الساخنة إلى ارتفاعات عالية . . ومن اندفاع المياه إلى أعلى وإلى أسفل تتولد الطاقة الكهربية والسياحية أيضا . .

ولم يقل لنا أحد لماذا الأطفال وحدهم هم الذين يحتفلون بالضيوف . . أين الشباب ؟ لابد أنهم يعملون .

وفى البلاد قاعدة عسكرية لحلف شمال الأطلنطى وليس فى آيسلاندا جيش وإنما قوات أمن تحمى المصايد والصيادين .

هذه هى البلاد الصغيرة جدا التى تغيب عنها الشمس أياما ولا تغيب عنها ١٨ يوما متواليا فى شهر يونيو من كل عام !

(٢)

دولة آيسلندا هذه مساحتها مائة ألف كيلومتر مربع . وحياتها قاسية جافة خشنة . وعوامل الطبيعة تتربص بالنبات . وكثيرا ما أبادت البراكين ألوف السكان فى يوم وليلة . ومع ذلك فالناس لا يتوقفون عن البناء والغناء والرقص والاستمرار . . يأكلون السمك ويشربون اللبن ويستوردون اللحوم . ويصدرون كل ما يجود به البحر إلى دول البحر المتوسط والجنوب . وهذه الأسماك هى خلاصة حروب لا تتوقف بين آيسلندا وبين الدول الأخرى وقوى الطبيعة .

ولابد أن يكون هذا العناء اليومى ، مادة للفن والأدب . وقد كان . وفى سنة ١٩٥٥ فاز الأديب هالدور لاكسنس (٥٣ سنة) بجائزة نوبل فى الأدب . ولاكسنس فنان شديد القلق ترك بلاده فى سن صغيرة وسافر إلى أركان الأرض يرى ويقارن . وعاد يرسى قاعدة لتمثاله الأدبى الذى صار شخصية عالمية وأيقظ الأقلام فسجلت كفاح الشعب الآيسلندى الصغير وإصراره على أن يكون كبيرا .

ولاكسنس نشأ فى قرية بالقرب من العاصمة . وفى السادسة عشرة من عمره كتب رواية رومانسية يدعو فيها إلى العودة إلى الطبيعة . . وبعدها ترك البلاد يجول فى ألمانيا التى انهارت بعد الحرب وكانت صدمة عنيفة له . وكتب رواية (نساجو الكشمير) عند اعتناقه الكاثوليكية . . ثم أقام فى أمريكا ثلاث سنوات فعاد شيوعيا متطرفا .

وفى سنة ١٩٣٢ كتب روايته الرقيقة الجميلة واسمها (سالكا فالكا) وهى الفتاة التى وقفت ضد الفلوس وهوان الصيادين .. وكتب رباعية (نور الدنيا) عن عذاب أحد شعراء الشعب .. ثم كتب ثلاثية (ناقوس آيسلاند) وهاجم فيها روح البطولة المزيفة .. وروح البطولة الحربية بلا قضية .. وكتب رواية (السمك يغنى أيضا) عن حياة أحد المطربين ..

وقد جاء فى تقرير جائزة نوبل أن لاكسنس قد استحق هذه الجائزة لحيوية أسلوبه الملحمى وقدرته الفذة فى التعبير عن عذاب وآمال شعبه وعن واقعيته الدافعة إلى مواصلة الكفاح البطولى من أجل ما هو أسمى .

(٣)

من حق فريق كرة اليد أن يجد ما يفخر به وما يسعدنا نحن أيضا . فقد لعبوا . وأصابوا وأصيبوا . ولو وقفوا عند حدود الـ ١٦ لكان ذلك مقبولا منهم . فهم قد ساروا فى طريق صاعد لأول مرة فى تاريخهم وتاريخنا . ولكنهم ذهبوا إلى أبعد وأرفع مما كنا نحلم . فشكرا للاعبين ومدربيهم والمشرفين على نشاطهم .

ولا أعرف لاعبا واحدا . ولكن أمتعنى وأضحكنى وأغضبنى وأقلقنى وأراحنى ما رأيت وما تمنيت والنتيجة لصالح الفريق المصرى . فشكرا جزيلا على الأداء وحسن البلاء . . وسوف تكون كرة اليد شعبية ابتداء من اليوم . . ولذلك يجب أن يتوافر لها معلقون محبوبون . . ومحللون أيضا . وأنا أفضل المعلق الرياضى المتحفظ الأستاذ عبد المنعم وهبة على المعلق الذى زودها شويتين فى شكر كل من هب ودب فى القاهرة . . ثم نسى أن يشكر المشاهدين مع أنهم صفقوا وصرخوا . . وإن لم يسمعهم اللاعبون ـ أقصد الأستاذ فايز الزمر . وقد استطاع أستاذ المعلقين الرياضيين محمود بدر الدين فى الخمسينات أن يربط الناس بالراديو . . ومن بعده محمد لطيف جعلنا نحب كرة القدم . . فهو مدرس لطيف ودود ظريف . يحكى لنا حكايات ويشرح قانون الكرة وله نوادر مضحكة أيضا . .

واستطاع فريد حسن بصوته الهادئ أن يجعلنا نشاهد المصارعة

العنيفة . . وله تعبيرات مضحكة مثل : الله أهى دى خنقة جميلة . عندما يمسك أحد اللاعبين خصما من رقبته يكاد يقتله !

وتمكن عادل شريف أن يجعل العالم العربى من المحيط إلى الخليج يحب كرة التنس . . فقد كان متحدثا ممتعا . وله حكايات وتعبيرات خاصة . . وهو لايتوقف عن إضافة معلومات جديدة عن اللعبة وعن اللاعبين . .

وكذلك أحمد ناصر أفلح فى وصف الفروسية وركوب الخيل وأن يلفت الأسماع والأنظار إلى طريقته السهلة الهادئة فى إضافة معلومات جديدة للمشاهد دون أن يرهقه فأحببنا هذه الرياضة الفخمة النبيلة . .

والناقد الكبير صاحب التعبيرات المبتكرة نجيب المستكاوى جعل النقد الرياضى نقدا أدبيا فنيا . فقد ابتكر تعبيرات جديدة فى كرة القدم . فكان ناقدا ومدرسا ومؤرخا وأستاذا فى جميع الأحوال . . فهو جعلنا نقرأ له ولغيره من النقاد الجادين . .

فرصة عند عبد المنعم وهبة أن يجعل الملايين تحبه وتعشق كرة اليد . . يكفى أن يحترم نفسه ومشاهديه !

(٤)

لا أدعى العلم بفنون الكرة من أى نوع . ولا أعرف بالضبط ما الذى سيفعله فريق كرة اليد قبل الدورة الأوليمبية . ويقال : إنهم سوف يشاهدون كل المباريات على الشاشة . ومن هذه المشاهدة والمناقشة والتحليل سوف يعرفون أخطاءهم وسقطات الآخرين ومزاياهم وعيوبهم . وسوف يتدربون ويستعدون من جديد . فقد طالت قاماتهم للسماء . . وقد صفق لهم الملايين فى كل وقت وكل مكان . واليوم خمر وغدا أمر ـ كما يقول الشاعر . وهذا الأمر شاق أيضا .

وعندى بعض تساؤلات : كيف تفسر أن فريقنا يلعب بصورة ممتازة وفى اليوم التالى بصورة سيئة ؟ كيف ينتقلون من فوق إلى تحت بهذه السرعة . . ثم من تحت إلى فوق . . كأن الفريق فريقان : واحد ممتاز وواحد سيئ جدا . ؟

سؤال آخر : كيف يظهر الإعياء الشديد على شبان مثلهم ؟ . . شبان فى العشرين وبعدها بقليل . . فهذه سن لا يتعب فيها الإنسان مهما بذل من جهد . . أين طعامهم وأين العناية الصحية وأين الراحة الضرورية ؟ . . ففى مثل هذه السن يكفى أن ينام الإنسان ثمانى ساعات لينهض كالعفريت . . بصراحة لم أفهم هذا الذى رأيته على وجوههم الشاحبة وقد أغرقها العرق بعد مجهود قليل جدا !

سألت فقيل : ليس من بينهم واحد عنده بلهارسيا ولا دسنتاريا ولا أنيميا من أى نوع ! إذن ما هذا الإرهاق الواضح على وجوههم ومن تساقط الكرة من أيديهم ؟ ! . . كما أن بعض اللاعبين كان يترنح ويكون الوقوع على الأرض فرصة لكى يستريح قليلا . .

وأنا لا أدعى الفهم العميق والدقيق لفنون الكرة ، ولكن فقط أتساءل وغيرى كذلك ـ وأريد أن أطمئن على سلامة الفريق ومستقبل الرياضة الكروية على أيديهم بعد أن تلخبطت الكرة بين أقدام الآخرين . .

يرحم الله توفيق الحكيم ، كان يبكى على مستقبل (القلم) بعد أن تسلطت (القدم) على عرش التليفزيون فى كل الدنيا . . إن كرة أخرى قد أقيم لها عرش جديد هى كرة (اليد) لأنها لاتمسك القلم !

انهارت الفلسفة !

لسنا وحدنا الذين يشعرون بالملل والقرف والركود والجمود والضياع . . ففى العواصم الأوروبية والأمريكية أناس مثلنا فما الذى جرى لنا ؟

لقد انهارت الفلسفات الكبرى التى كانت تحتوى على العقل الإنسانى . . وتوجهه وتمده بإجابات حاضرة عن كل مشكلة . . وكنا نأوى إلى هذه النظريات فى الأزمات ، مثل صيدليات فيها الإسعافات الأولية . انهارت الشيوعية والنازية ، والفاشية والوجودية والبنيوية ، وعدم الانحياز والقومية . وأصبح الناس عراة . . بلا مأوى عقائدى ولا سكن أيديولوجى ولا هوية . وتعملق الإسلام والسلام ، واتخذا أسلوبا عنيفا جعل الناس ينفرون ويتشككون .

وفى شرقنا الأوسط استطاع رجلان أن يغيرا كل المعالم إلى غير رجعة : الخومينى والسادات . . الإسلام والسلام . . فطرح الناس كل النظريات أرضا ، وتطلعوا إلى فوق . وانتظروا طويلا فأمطرتهم السماء طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل . . باسم السلام والإسلام ؟!

فإلى أين يتجه الناس ؟ وإلى من ؟ وإلى متى ؟

لقد أغلقت بيوت الحكمة أبوابها . وسحبت مقاعدها

ومناضدها ، واطفأت أنوارها ، وقيل بعدا للقوم الكافرين . . وكل الناس كافرون بكل الناس !

فإن كان هذا الذى نخوضه مستنقعا فكريا اجتماعيا سياسيا ، فكيف تدب فيه الحياة الكريمة؟ كيف تعلو أمواجه ، كيف تعصف رياحه؟ كيف يستعيد الناس حياتهم وفكرهم وقلقهم وانتفاضتهم؟

جماعة من المثقفين الفرنسيين وجدوا حلا قديما . فنادوا بالمقاهى الفلسفية ـ كافى فيلو ـ فالجماعات لم تعد قادرة على تنوير الناس . لقد ولدت الفلسفة من الشارع ، فى الشارع ، على النواصى من ٢٥ قرنا . فقد كان أستاذنا سقراط وتلميذه أفلاطون وتلميذ تلميذه أرسطو يمشون فى الشوارع ، ويتكلمون ويناقشون ويدقون الرءوس فى الجدران لتنفتح على نور جديد . .

أحد هؤلاء الفلاسفة الفرنسيين اسمه سوتيه اختار (مقهى الفنار) مكانا للمناقشات فى كل القضايا الفلسفية . وانتشرت المقاهى الفلسفية فى كل المدن الفرنسية . ولنفس السبب . هو أن يتناقش المثقفون فى حالهم وحال بلادهم . . وفى إذابة الجمود وتحريك الركود وتحرير العقول . . وإطلاق سراح عشرات الملايين الذين اعتقلتهم الجامعات والأكاديميات ، والأحزاب السياسية والصوامع الدينية . .

فالمهم تغيير المكان والحوار ، وإثارة العقول على العقول من أجل إيقاظ النائمين فى المعابد . . كم من الوقت تحتاج هذه اليقظة . . هذه النهضة ؟ لم يخترع الإنسان مقياسا دقيقا للزمن الذى يقطعه عود الكبريت ، حتى يكون حريقا فكريا وأتونا عاطفيا . . وفيضا كونيا !



(١)

كانت شجر الدر بيضاء حمراء طويلة القامة سوداء الشعر والعينين . وقد عرفت أن كل إنسان له ثمن . وكانت تغالى فى دفع الثمن لأن الإنسان «عينه فارغة» ولا يملؤها إلا التراب ميتا ، وإلا التبر حيا .

وراحوا يخطبون لها فى المساجد ويدعون الله أن ينصرها على من يعاديها من الأمراء والمشايخ والفرنسيس . وكانوا يقولون فى خطب الجمعة : اللهم احفظ الجبهة الصالحية (لأنها أرملة الملك الصالح نجم الدين أيوب) ملكة المسلمين ، عصمة الدنيا والدين ، ذات الحجاب الجليل ، والدة المرحوم خليل .

وضاق المشايخ بأن تكون الملكة امرأة . وبعثوا للخليفة فى بغداد الذى سخر من المصريين الذين لم يجدوا رجلا يحكمهم!! وبعث يقول لهم : إن الحديث النبوى الشريف صريح فى ذلك . إذ يقول عليه الصلاة والسلام : «لايفلح قوم ولوا أمرهم امرأة !» .

وقال الشاعر القديم فى ذلك الوقت :

النساء ناقصات عقل ودين

ما رأينا لهن رأيا سنيا

ولأجل الكمال لم يجعل الله
تعالى من النساء نبيا !

ويقال : إنها لما سمعت ذلك عزلت نفسها . وتزوجت الأمير أيبك واشترطت أن يطلق زوجته (أم على) فطلقها . ولكنها علمت أنه يخطب فتاة حلوة من العراق . فتآمرت عليه وقتلته فى القلعة . وذهب ابنه على ودفنه . واعتقل زوجة أبيه شجر الدر وسلمها إلى والدته أم على . وقتلتها أم على بالقباقيب . وألقوا بها عارية أمام القلعة . فجاء الحرافيش وفتشوا ما بقى من ملابسها . واستخرجوا الألماس واللؤلؤ من تلافيف سراويلها . وتركوها .

فاحتفلت (أم على) بهذه المناسبة السعيدة . وصنعت الفتة من اللبن والسكر والزبيب . . وهذه هى بداية الحلوى المعروفة فى مصر باسم أم على . . ولكن أم على الأصلية كانت أكثر بشاعة . فأم على صنعت الفتة من الخبز واللبن والسكر وقطع من جسم شجر الدر وخاصة حلمتى ثدييها . . ويرمز لهاتين الحلمتين الآن بالزبيب .

وأذكر أننا كنا نتناول طعام العشاء على مائدة الشيخ زايد آل نهيان عندما فوجئت بالرئيس حسنى مبارك يطلب منى أن أشرح للشيخ زايد تاريخ «أم على» . وقلت .

وحكمت شجر الدر مصر ٨٤ يوما . . وكانت شجر الدر شخصية باهرة . تدربت كثيرا وطويلا على مؤامرات القصور فى حريم السلاطين وعرفت هذه الحقيقة : أن الرجل ضعيف أمام ثلاثة أصنام : الجنس والسلطة والفلوس .

ولكن رغم صغر سنها وقصر ملكها ، فقد زلزلت القلاع والقصور وأتت بأكبر الرجال ركعا سجدا أمام هذه الأصنام الثلاثة !

(٢)

وفى ذلك الوقت ظهرت شخصية غريبة عجيبة . شخصية سلطان القضاة أو سلطان العلماء قاضى القضاة : العز بن عبد السلام . كان شديدا قاسيا صارما . وكان قاضى المذهب الشافعى . وكان إذا رأى رأيا لا يعدل عنه . . مرة واحدة فقط أخطأ فى فتوى فأطلق الناس ينادون فى الشوارع يقولون : من سمع فتوى العز بن عبد السلام فلا يعمل بها . فالشيخ قد أخطأ . الشيخ أخطأ !

ولما اكتشف العز بن عبد السلام أن الأمراء المماليك عبيد ، لم يثبت أن أحدا قد أعتقهم ، فقد أمر ببيعهم فى الأسواق . على أن تعود فلوسهم إلى خزانة المسلمين . لأن العبد لايحكم الحر ، فلما صاروا أحرارا عادوا إلى مناصبهم ، وبعد هذا الحكم عزل القاضى العز بن عبد السلام نفسه من القضاء . وقد تناول توفيق الحكيم هذه الحادثة التاريخية ـ وكان أول من ذكرها مصطفى صادق الرافعى ـ فى مسرحية اسمها (السلطان الحائر) . وجعل إحدى الغوانى هى التى تشترى السلطان ـ أروع حوار كتبه توفيق الحكيم فيه الذكاء والسخرية والكبرياء والهوان . . وقد ظهرت مسرحية توفيق الحكيم بعد تأميم الصحافة التى زلزلت الصحف وهدمت أخبار اليوم على رءوس محرريها وقرائها . فكتبت تعليقا على هذه المسرحية على شكل حوار يحمل معنيين أو أكثر وفيه إسقاط على ما أصاب مصر فى ذلك الوقت . وكان عنوان المقال (حمار الشيخ

عبد السلام) . فأصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بفصلى وكنت أيامها رئيسا لتحرير مجلة (الجيل) ومدرسا للفلسفة فى الجامعة .

فقد أنهيت مقالى هكذا : ووقف العز بن عبد السلام راكبا حماره على حدود مصر هو بالنيابة عن العلماء ، والحمار بالنيابة عن الشعب المصرى !

فما كان من الرئيس عبد الناصر إلا أن أشار بيده لمدير مكتبه السيد على صبرى . . وكانت الإشارة معناها : بلاش دوشة . . أو يغور فى ستين داهية مع مصطفى أمين وعلى أمين . .

وحمدت الله على ضعف على صبرى فى ترجمة إشارات الرئيس . . فلم يفسرها بوضعى فى سجون الواحات . . وإنما فسرها على أن أقعد فى البيت والتصعلك فى الشوارع وأفشل فى كل محاولاتى للهرب إلى السعودية !

وتناولت الدراسات الأدبية والنقدية للويس عوض وغيره من الأساتذة المصريين والأجانب هذا الحادث على أنه أبشع صور خنق الفكر وتحويل الأحرار إلى مماليك فى حاجة إلى قاضى قضاة يعيد لهم حريتهم !

(٣)

وفى هذه الفترة التى تغلى بالأفكار والمخاوف والصراعات على السلطة . . والتسلح بأفرع الشجر والطوب والحجارة فى مواجهة الأسلحة الفرنسية . . وانتشار الخزعبلات بين عامة الشعب وبين الأمراء والمشايخ ظهرت حكايات وخرافات عجيبة . . .

يقال : إن ساحرا مغربيا جاء إلى المنصورة عاصمة الدقهلية (نسبة إلى قرية صغيرة اسمها دقهلة) . هذا الرجل كان يتردد على بيوت الأغنياء فقط لأنهم أكثر خوفا على أموالهم وأكثر الناس طمعا وإيمانا بالعفاريت . وفى إحدى الليالى دعا عددا من الأغنياء ليزوروا قصره وحديقته . . ثم أعلن أنه يريد أن يبيع هذا كله ويبيع العبيد أيضا . فقد اشتاق لزوجته وأولاده فى بلاد المغرب . وجاء الرجل الغنى وأحد القضاة والشهود . ووقعوا على عقد البيع بمبلغ ألف دينار . وقرر الرجل الغنى أن يبيت الليلة الأولى وحده فى هذا القصر . فلما طلع النهار وجد نفسه نائما فوق كوم زبالة . كيف حدث ؟ أين الرجل ؟ الملك سأل عنه . . بل الخليفة فى بغداد . اختفى الرجل ؟ !

ويقال أيضا : إن ملوك (!) اليمن أرسلوا للملك ساعة . . أو شمعدانا من النحاس . هذا الشمعدان عند أذان الفجر يخرج منه شاب صغير ينحنى للملك ويقول فى منتهى الأدب : صبحك الله بالخير فقد طلع الفجر .

وأناس كثيرون يقولون : إنهم رأوه وسمعوه . ولما حاولوا أن يشتروا مثل هذه الساعات العجيبة لم يجدوا الناس الذين جاءوا من اليمن !

وطبيعى أن ينسب الناس إلى القاضى العز بن عبد السلام الكثير من الكرامات والخرافات أيضا . فواحد يقول : إنه يضىء فى الليل . . وتمشى وراءه طوابير من الملائكة . وقد سجن الشياطين . . وقائل يرى أن شعاعا من السماء يصل بين سرير القاضى ونجمة فى السماء .

ويقال أيضا : إن الفرنسيين قد انهزموا لا بسبب عشرات الألوف من (العربان) الذين قتلوهم . . ولا بسبب أنهم غرقوا فى مياه النيل . . ولا بسبب الجوع والمرض والخوف ، ولكن لأن قاضى القضاة سلطان العلماء العز بن عبد السلام رفع رأسه إلى السماء ونفخ فى الهواء قائلا : يا ريح خذهم ! قالها ثلاث مرات . فهبت عليهم عواصف سوداء تحولت إلى دخان من تحته نار . . أكلت الأحياء وأحرقت السفن وأغرقتها !

وهلل الناس فى الشوارع قائلين : الحمد لله الذى أرانا ـ نحن أمة محمد ـ رجلا قد سخر الريح لانتصار المسلمين على الكفار !

(٤)

اختارت محافظة الدقهلية انتصار مصر على الحملات الصليبية عيدا قوميا لها . فقد تم النصر على أرض الدقهلية . . ومدينة المنصورة كانت الاسم الذى اختاروه لعدد من القصور والبيوت يسكنها الملك والأمراء والقادة . . اختاروا الاسم قبل المعركة تفاؤلا ، أو بعد المعركة تخليدا لها . . هل كان النصر هو القضاء على الفرنسيين الصليبيين أو كان النصر هو خروج آخر أسير ؟ . وكان آخر أسير هو الملك لويس التاسع الذى دفع فدية قدرها ٢٠٠ ألف دينار . . واللواء فخر الدين خالد مشغول بتحديد يوم النصر فقد طلب إلى أساتذة التاريخ بجامعة المنصورة أن يحددوا ذلك اليوم . .

والحروب الصليبية (١٠٩٥ - ١٢٩١) موجات من الجيوش جاءت بدعوى تخليص الأراضى المقدسة من قبضة المسلمين . . وقد ضمت الحملات الصليبية قساوسة وملوكا وأمراء ونصابين وأفاقين ومقامرين . . فأشاعت التعصب الدينى وكراهية الغرب . . والكثير من الخرافة . ولم يتحقق أى نصر عسكرى ولا فائدة مادية لأحد . . ثلاثة قرون من العنف والخوف والكراهية والأساطير وهى مرحلة غنية أدبيا وسياسيا ونفسيا .

وكان لنا نصيب من هذه الحملات المدمرة بلا فائدة . جاءت السفن الفرنسية إلى ميناء دمياط . وأحرقوها وهرب أهل المدينة . وتركوها خاوية وظن الفرنسيون أنها حيلة مصرية . ولكنهم وجدوها

خالية . . ثم عادوا بعد ثلاثين عاما يريدون مصر كلها . وفى مواجهة الغزو الجديد جمع الملك الصالح ـ وكان مريضا ـ العربان من الجنوب والشمال والشرق والغرب . . وتقدموا بالسهام والعصى والطوب يقاومون الغزاة ، وكان عدد المصريين عشرين ألفا . وانفتح عليهم النيل فى أيام الفيضان فغرق الفرنسيون وانتشرت الأمراض والجوع ومات الملك ونقلوه ليلا إلى القاهرة ودفنوه وظلوا يدقون الطبول وكل الأطباء داخلين خارجين كأنه لم يمت .

وجاء ابنه توران شاه وجعلوه سلطانا . وكان توران شاه مجنونا ، مثل الإمبراطور نيرون يحب النيران والحرائق . . ومثل الإمبراطور كاليجولا الرومانى يحب رؤية الموتى من الأبرياء . . وكان توران شاه يحرق البيوت ويصرخ كلما رأى النيران وكان يشعل الشموع الكبيرة ويقطع رءوسها بالسيف سعيدا بذلك !

أما زوجة أبيه شجر الدر ـ وليست شجرة الدر ـ فقد طاردته حتى قتلته فى زورق فى البحر ـ فمات بين النار والماء !

وتسلطنت شجر الدر ـ وهى جارية أرمنية ـ ذكية . كانت زوجة للصالح أيوب وأنجبت منه ولدا اسمه خليل مات مبكرا وكانت تحب أن يناديها الناس بالست أم خليل . . وجاء الأمراء والقادة والمشايخ يقبلون الأرض عند قدميها اعترافا بها . . وكانت ترى ذلك وتسجل أسماءهم من وراء ستار . .

وهى تكتب الأسماء لكى تبعث بالثمين من الهدايا : الخيول والفلوس والأراضى والمراكز !

(٥)

ومبالغات وحكايات وبطولات وخرافات وصراعات ـ وهى لقمة سائغة لكل أديب روائى ولكل فنان كرتون . . ولكن من المؤكد أننا أسرنا الملك لويس التاسع (١٢١٤ ـ ١٢٧٠) الذى جعلوه فى فرنسا قديسا سنة ١٢٥٧ . . وقد وضعناه فى بيت القاضى ابن لقمان فى المنصورة . . هو وعدد من الأمراء ويقال : عدد من الأبناء . . ومن هنا تبدأ الحكايات . . من بينها أنهم كانوا يطلبون إليه أن يغسل ويكنس . ومنها أن الحارس كان يضربه كل يوم ٥٠٠ جلدة (؟!) . . كل يوم ولمدة شهر ! ويقال : إنه أشهر إسلامه (؟!) . ويقال كلام كثير عن ظهور كرامات لهذا الملك . . وطلبوا فدية قدرها ٢٠٠ ألف دينار دفعتها أمه ، التى كانت ملكة فى غيابه . ثم أطلقنا سراحه . فذهب إلى القدس راهبا متعبدا سنتين .

ويعد الملك لويس التاسع نموذجا لملوك العصور الوسطى . وكان مؤمنا ولكنه لم يكن متعصبا . وكان له اهتمام عميق بالعمارة ، فأقام عددا من الكنائس الفخمة فى فرنسا . . كنائس شارتر وبوفيه . . ثم أقام كاتدرائية (سانت شايل) فى باريس . .

وبسبب حلم رآه فى منامه قرر أن يغزو تونس وهى آخر الحملات الصليبية . . وذهب وكان فى انتظاره الطاعون ، فقضى على ألوف الجنود وعليه أيضا ! ولكن الناس فى مصر يقولون : إنه عندما تلقى قصيدة من الصاحب جمال الدين بن مطروح قرر ألا يعاود غزو مصر ، فبيت ابن لقمان فى انتظاره ، وكذلك الطواشى صبيح الذى كان يتولى ضربه بالعصا كل يوم . تقول القصيدة .

قل للفرنسيس إذا جئته
مقال نصح من مثول فصيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها
تحسب أن (الزمر يا طبل ريح)
فساقك الموت إلى عسكر
ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم
بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم
إلا قتيلا أو أسيرا جريح
إن كنت عولت على عودة
لأخذ ثأر أو لنقد صحيح
دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطواشى صبيح !

فلما قرأ الملك لويس التاسع هذه القصيدة ، وتذكر ما كان يحدث له فى بيت ابن لقمان استشار أمه فأشارت بألا يفعل . ولم يفعل لأنه مات !

ويقولون : إنه قبل أن يموت جاءه الشيخ العز بن عبد السلام فى المنام وقال له : « لمن الملك اليوم » ؟

فقال لويس التاسع باكيا : لله الواحد القهار !

(٦)

لقد اختارت محافظة الدقهلية ميدان النصر (٦ أكتوبر) فى عيد النصر لتضع تمثال أم كلثوم التى هى صورة تاريخية لانتصار فتاة ريفية على ملكات وسلطانات الطرب فى القاهرة . ولم يكن لها إلا سلاح واحد : موهبتها واستقامتها وإصرارها على أن تكون شيئا فكانت كل شىء !

وكان فى المنصورة تمثال لأم كلثوم أمام فندق مارشال . التمثال من صنع الفنان د . فاروق إبراهيم . . وكان التمثال صغيرا أقامه بسرعة فى ميدان هو الفوضى وقلة الذوق والجليطة وضوضاء القطار وعربات الكارو والتراب والدخان . . وكانت أم كلثوم تخوض رحلة هذا التلوث البيئى كل يوم وهى عقوبة لاتستحقها !

وكتبت كثيرا وطويلا وناديت بتمثال آخر لسيدة الغناء العربى كوكب الشرق أم كلثوم . حتى جاء الوزير الفنان فاروق حسنى ، وهو الذى جعل مصر تعيش أعيادا رفيعة من المتاحف والمعارض والحفلات والمهرجانات والمكتبات الكبرى والذكريات الأدبية والفنية ـ كما لم يفعل أى وزير للثقافة من قبل . . وعرضت عليه صنع تمثال آخر لأم كلثوم فوافق فورا . وقرر واختار . وأحسن اختيار الفنان الشاب طارق الكومى . الذى أقام تمثالين لأم كلثوم . . واحد وضعناه فى الأوبرا والثانى احتفلنا به فى المنصورة . . وكان التمثال رمزا لامتنان مصر والعالم العربى وإعجابا متجددا لفتاة من قرية

طماى الزهايرة مركز السنبلاوين . . هذه الطفلة كان أبوها صاحب فرقة موسيقية غنائية صغيرة مكونة منه هو الشيخ إبراهيم البلتاجى وابنه خالد وآخرين . ينتقلون بين القرى يغنون وينشدون . وتشاء الصدفة أن يسمع ابنته الصغيرة (تسرسع) بكل ما كان يغنيه . . . . الصوت عيالى طبعا ولكن الأداء صحيح تماما . فبهره ذلك . وبدأ يحلم . تشاور مع أمها : ما رأيك لو غنت معنا فاطمة؟ ولم يختلف الأبوان . وتغير اسمها إلى (أم كلثوم) تيمنا باسم إحدى بنات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ولم يكن مألوفا أن تغنى فتاة فى الريف . فتستر أبوها عليها . وجعلها ترتدى البالطو والعقال . . البالطو يخفى بوادر الأنوثة والعقال يجعلها غلاما . وغنت أم كلثوم والتفتت الأسماع إلى الصغيرة التى تغنى . . وكان للأب تطلعات وآمال لاتتحقق إلا فى القاهرة . فذهب بها فى سنة ١٩٢٤ . وكانت فى القاهرة منيرة المهدية سلطانة الطرب والأبهة والمجتمعات الرسمية والحظ والفرفشة والمسخرة أيضا . وقررت أم كلثوم أن تفعل بالضبط كل الذى لم تفعله منيرة المهدية : أن تصون نفسها وجسمها وصوتها وأن تكون محترمة . . ولا تغنى ضمن مجموعة وأن تقف على قدميها وحدها فى السماء !

واستجابت لها السماء !

(٧)

وكان القدر قد دبر لنا مفاجأة أخرى ـ غير مفاجأة ظهور أم كلثوم من حقول القطن والأرز فى قرية طماى الزهايرة . . فقد كانت فى المنصورة فرقة موسيقية صغيرة . فرقة الشيخ محمد السنباطى . . وقد رزقه الله بثمانى بنات أما التاسع فهو رياض السنباطى . وقد برع الطفل رياض السنباطى على عزف العود كوالده . ثم غنى وغنى حتى أطلقوا عليه اسم (بلبل المنصورة) . وفى يوم جاء سيد درويش إلى المنصورة ، ليزور صديقه الملحن داود حسنى . وسمع عن بلبل المنصورة ، وفى مطعم راندو بولو سنة ١٩٢٢ وفى أحد الأركان سمع رياض السنباطى يغنى له ومن تلحينه : أنا هويت وانتهيت . . وضيعت مستقبل حياتى .

وطلب سيد درويش من محمد السنباطى أن يعمل ابنه فى فرقة سيد درويش بالإسكندرية . الأب اعتذر . فالقدر يدخره لما هو أهم كثيرا .

وأغنية «أنا هويت» هى من أجمل ألحان سيد درويش ، أما كلماتها فركيكة ، ولكن هذه الأغنية السهلة الأداء الرائعة الجمال هى أسعد أغنية فى تاريخ الغناء العربى . فقد غناها رياض السنباطى ومحمد عبد الوهاب وسعاد محمد وإسماعيل شبانة وفرقة الموسيقى العربية ، وكثير من المطربين العرب . . أما غناء رياض السنباطى فهو أكثر رقة ، وأما غناء عبد الوهاب فأكثر زخرفة . وغناء سعاد محمد فهو الأقوى .

وفى سنة ١٩٢٨ سافر رياض السنباطى إلى القاهرة . وحاول أن يدخل معهد الموسيقى طالبا . فعينوه أستاذا لعزف العود . . ولم يستطع رياض السنباطى أن يدرس أو يقرأ ، فقد كانت له مشكلة فى عينيه . . فعاش السنباطى على أذنيه ـ أروع ما أعطاه الله . .

واستمعت أم كلثوم إلى السنباطى من (إذاعة الشرق الأدنى) التى كانت تبث برامجها من قبرص . . ثم سمعته وهو يعزف على العود فى التليفون من بيت الموسيقار مدحت عاصم . . فأعجبت به . وكان اللقاء . وكان العصر الذهبى لأم كلثوم ورياض السنباطى ـ أى للموسيقى والغناء والقصيدة أيضا !

وبحضور أم كلثوم ورياض السنباطى إلى القاهرة وظهور الموسيقار اللامع محمد عبد الوهاب تقرر تماما القضاء النهائى على سلطانة الطرب والغناء المسرحى . فمحمد عبد الوهاب قرر ألا يكون (ضمن) فرقة منيرة المهدية ، فهو مؤمن بأنه شىء مهم فى الغناء وفى الموسيقى ، ولذلك تنحى عن المسرح وعكف على تدفقه الإبداعى فى الغناء والموسيقى . . اثنان من أبناء الدقهلية كانا فى مهمة استغرقت خمسين عاما هى عمر أم كلثوم فى القاهرة . ومع أم كلثوم والسنباطى والموسيقار المطرب المبدع محمد عبد الوهاب وتلامذته : فريد الأطرش وبليغ حمدى ومحمد الموجى وكمال الطويل وعبد الحليم حافظ بلغت الأغنية المصرية أسمى درجاتها . وبعد ذلك بدأ الانحسار . . الانحدار . . الانهيار . . !

(٨)

مات سيد درويش وسلامة حجازى وأبو العلا محمد وداود حسنى وصالح عبد الحى ومنيرة المهدية وفتحية أحمد وعبد المطلب وكارم محمود وزكريا أحمد وأم كلثوم وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وفايزة أحمد والسنباطى وعبد الوهاب وبليغ حمدى ومحمد الموجى ـ ماتوا لإخوتهم وأولادهم وزوجاتهم . ولكن الفن أطول عمرا من الفنان . فلا تزال أم كلثوم معشوقة الجماهير ، ولايزال عبد الحليم أحب الأصوات على الإطلاق . .

والحديث فى المواهب مشكلة : أى يثير معضلة أى التى ليس لها حل . والمعضلة هذه هى : لماذا ظهرت أم كلثوم فى طماى الزهايرة والسنباطى فى المنصورة وعبد الوهاب فى باب الشعرية . . لماذا ؟

ما هى الظروف ؟ ما هى صفات الأبوين ؟

لا إجابة عن هذا السؤال !

فالموهبة هدية من الله . لشخص بالذات . . وهذه الموهبة لايرثها من أحد ولايورثها لأحد . إنها هبة شخصية . وبس ! . . فليس فى طين وبعوض وأرز وقطن طماى الزهايرة ما يشير إلى أن موهبة ـ فذة سوف تولد . . لا شىء يدل على ذلك أو يدعو إليه . .

ومنذ أيام كنا نتفرج على بيت أمير الشعراء شوقى . . ننظر بعناية إلى كل شىء فى الأرض وعلى الجدران . لا شىء يدل على عبقرية الشاعر شوقى . . لا شىء . . لا غرفة نومه ولا سريره ولا البلكونة . . ولا شىء فى أسوان يدل على أن العقاد سوف يكون مفكرا عظيما . . والعقاد وشوقى وتيمور من أصل كردى . . وأم أستاذنا العقاد من المنصورة . .

ولابد أن يبدو الزائر ساذجا فى كل مرة يتفرج فيها على بيت الموسيقار النمساوى موتسارت فى مدينة سالزبورج . . على سريره الصغير وعلى الحلل النحاسية الكبيرة فى بيته . . ورغم اللافتة التى تقول (ممنوع اللمس) فكنا نمد أيدينا . والحقيقة أننا لانلمس وإنما نحن نتلمس تفسيرا للعبقرية . . طبعا ليس موجودا لا فى السرير ولا فى الحلل . . ولكننا نتوهم ذلك .

ولا تفسير للموهبة . والظروف لا تخلق العبقرية . وإنما الظروف تساعد أو تعرقل . والله عندما يخلق الموهبة ، فلابد أن لها دورا فى التاريخ . . إنه لايخلقها عبثا . أو كما يقول إنيشتين : إن الله ـ سبحانه ـ لايلعب الطاولة . فكل شىء له معنى ، له سبب . . له حكمة !

(٩)

قد لاتعرف الشبان اليوم كيف كانت حفلات أم كلثوم . . إنهم يرونها على الشاشة . هى هذه الصورة . ولكن ما هى هذه الصورة ؟

لقد كانت حفلات أم كلثوم مرة كل شهر ، حدثا فنيا اجتماعيا تاريخيا . إنها مهرجان الأناقة والفخامة والسعادة والنشوة والرومانسية . . والدموع فى العيون والنار فى الأيدى والقلوب . .

انظر إلى الصور . إنها نفس الوجوه قد اختارت أماكن لها لم تغيرها . وسعيدة وفخورة بذلك . . ونحن نعرف تماما من الذى كان يجلس فى الصف الأول واحدا واحدا . . وأم كلثوم تعرف ذلك وحريصة أيضا . . وتهتم بمن حضر ومن لم يستطع . .

وكانت الطائرات تنقل المحبين العرب من كل مكان . إنها أم كلثوم . . وحفلاتها أمل كل عروسين أن تكون الليلة الأولى لهما عند أم كلثوم . .

لقد استطاعت أم كلثوم أن توحد بين العرب من المحيط إلى الخليج على آهة واحدة . . على عبارة واحدة : الله يا ست . . يا عظمة على عظمة . .

وليلة أم كلثوم هى الليلة الكبيرة عند مصممى الأزياء ومصففى الشعر وسائقى التاكسى والمطاعم والسهرات والتسجيلات فى البيوت . . وفى اليوم التالى ـ أى (صبحية) أم كلثوم ، تجد

التسجيلات تتدفق من كل البيوت . . من الصباح إلى المساء من الكويت إلى المغرب . .

والذين (يدمنون) أم كلثوم يحدثونك كيف أنها غيرت . . كيف كررت الكلمة الفلانية عشر مرات . . وكانت قبل ذلك سبع مرات . . ولكنها هذه المرة أبدعت . . وأن أغنيتها الليلة أروع من المرة السابقة . . وأن أم كلثوم كانت مشرقة وكانت ضاحكة . . وأنها وأنها . .

أما السيدات فقد ارتدين أجمل ما عندهن . . كأنهن يتزين لأم كلثوم شخصيا . . وكأنها سوف ترى كل ذلك . .

لقد استطاعت أم كلثوم أن تجعل المطربة محترمة . . وأن وقوفها على المسرح ليس لعبا ولا لهوا ولا إغراء . . وإنما هو شيء أقرب إلى العبادة . . إلى الطهر والشفافية . . فعندما تقول : آه . . تنفطر القلوب وتدمع العيون ، وتمسك كل واحدة منديلها تعصره كما تفعل أم كلثوم : الله الله يا ست !

ولا أنسى صديقي وزميل الدراسة موريس جندي مدير الصحافة المتحدة كان يترك الدنيا ليشهد حفلات أم كلثوم . . وحده و لعشرين عاما وعلى نفس المقعد سعيدا . . ونحن مندهشون لذلك !

وبعد أم كلثوم لم يعد الناس يقبلون من أية مطربة أن تغني مرة ومرتين مثل أم كلثوم . .

هي وحدها التي أحب فيها الناس ذلك . . وبعدها لا أحد . . وهي وحدها (سيدة الغناء) ومن تقلدها فهي (سيئة الغناء) !

(١٠)

كأننا أردنا أن نؤكد لأم كلثوم أن طماى الزهايرة لن تأتى بغيرها . . ولكن من الممكن أن تفعل ذلك قرية مجاورة . . فقبل رفع الستار عن تمثال أم كلثوم ، استمعنا إلى صوت لفتاة من قرية (توب طريف) وهى أيضا من مركز السنبلاوين . . الصوت الجديد لشابة اسمها (نهاد فتح الله) ، واختارت إحدى قصائد أم كلثوم ، وملامحها ريفية . متوسطة القامة مثل أم كلثوم . . ووجهها وقسماتها مريحة للعين . غنت . وارتفع صوتها . وغنت وصفقنا . ومنحها المحافظ ٥٠٠ جنيه مكافأة . فتعالت الأصوات : إن المبلغ قليل . . فضاعفه المحافظ فخر الدين خالد . والناس سعداء لذلك ، وسعداء بالصوت الجميل الجديد . .

وسوف تلحق بمطربين من الدقهلية هما : محمد الحلو و إيهاب توفيق . . واستمعنا إلى طفلين . . واحد يعزف على الأورج . شاطر . بارع . وكان مستغرقا فى العزف . لم يتلفت إلى الإعجاب أو التصفيق . وإلى جواره طفلة صغيرة . وفى يدها منديل أم كلثوم وتقف مثلها وتتراجع وتهز كتفيها تماما مثل أم كلثوم . وغنت قصيدة . وصفقنا لهذه الطفلة فصوتها قوى سليم صحيح . طفلة مشوارها طويل . ولكن من الممكن أن تكون شيئا فهى أحسن حالا من أم كلثوم . وصوتها أقوى من صوت أم كلثوم عندما كانت فى مثل سنها . . لقد غنت . . والباقى علينا أن نجعلها تكمل مسيرتها إلى القاهرة ، ومنها إلى العالم . .

أما صوت (نهاد فتح الله) فهو سليم صحيح . ونطقها للحروف عميق . وتنفسها منتظم . ولم تعرف بعد المسافة المناسبة بينها وبين الميكروفون . وهى مسألة تدريب .

ومن الممكن أن يكون الصوت قويا وليس جميلا . ومن الممكن أن يكون جميلا وليس قويا مثل فيروز ونجاة والشيخ رفعت . .

ولكن نهاد فتح الله صوتها قوى وحلو ، وهى فى حاجة إلى تدريب . . ويسعدنا أن يظهر صوت من الريف . . من أعماق الدقهلية . . وفى القاهرة نحن سعداء بصوت الشابة غادة رجب . . فهى صاحبة صوت بديع . . وخامة الصوت فريدة . ولو كنت أباها لفرغتها تماما للغناء والتدريب . . أما احتياجاتها الثقافية ففى البيت . . لأن المدرسة والمذاكرة والامتحانات سوف ترهقها تماما ـ إلا إذا كان الأب لا يخاف على ابنته من إرهاق المذاكرة ـ على كل حال هو أدرى بما يصلح لها وأكثر حرصا عليها . . وأمام الأصوات المصرية الجديدة مشكلة صعبة : وهى أن الأصوات الوافدة علينا قادرة على أن تدفع أجر الملحن بالألوف . . ولذلك فهى تجعل مستقبل المواهب المصرية صعبا . فالمصريات غير قادرات على دفع الألوف للملحن . وهنا يجب أن تتدخل وزارة الثقافة وهيئاتها ، ووزارة الإعلام أيضا ـ ولا اعتراض على أن يكون فى مصر مائة مطربة عربية ، ولكن الاعتراض ألا ترى الشمس مطربات مصريات لهن صوت أجمل وأعمق . . .

(١١)

توجهت بحديثى إلى المطربة الناشئة نهاد فتح الله وإلى غيرها من المطربات بحكايات هى نصائح . وقد تفاديت أن أكون ناصحا : أبا أو مدرسا أو طبيبا . فالنصيحة طعمها مر ، وأقل الناس شعبية عند الأطفال والشبان : الأب والأم والمدرس والطبيب وسيدنا وأبونا . .

فقلت : إن الغناء هو فن تنظيم التنفس . . فالمطرب الشاطر هو الذى يخرج أنفاسه بحساب شديد . ونحن لا نسمعه . ولذلك نجد المطرب الأجنبى يضع الميكروفون ملتصقا بفمه ، فإذا فرغ من الغناء أبعده بسرعة حتى لا نسمع أنفاسه . . والمطرب الشاطر هو الذى لايخرج أنفاسه بسرعة ويلهث بعد ذلك - أكثر المطربين الشبان كذلك . بسبب الإرهاق والهلس والسهر . . إلخ . . .

وبسبب نقص التدريب وضعف الصحة . . .

وقلت أيضا : إن الموسيقار الشاعر المطرب الفرنسى الأرمنى والذى كان سائق تاكسى «أزنافور» عندما كان هنا فى القاهرة قال لى : إن معاهد الموسيقى تطلب من كل الذين سوف يحترفون الغناء أن يتعلموا الغوص والبقاء تحت الماء لكى يتعلموا كيف يتحكمون فى التنفس !

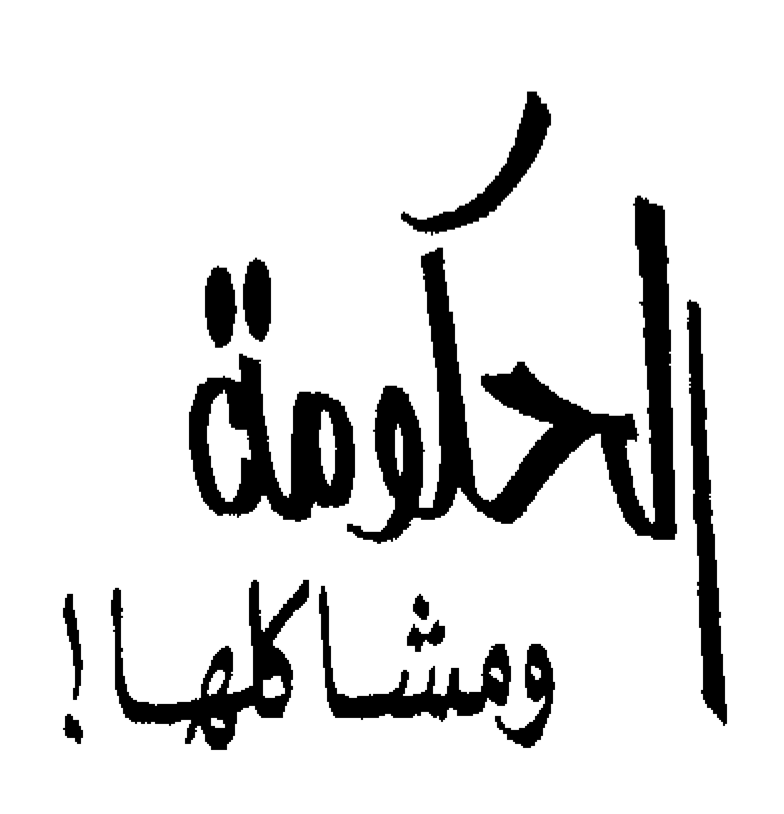
وقلت : إننى رأيت محمد عبد الوهاب يضع أذنيه على بطن المطرب المصرى وديع الصافى . . ويندهش للدوى الهائل فى صدر وبطن وديع الصافى ويتساءل : من أين يخرج هذا البركان ! فالصدر واسع والتنفس منتظم والقدرة فائقة والممارسة طويلة والموهبة حاضرة . .

وكان محمد عبد الوهاب يقول . . إن المطربات لهن أجمل فم وشفتين فى الدنيا ، ولم يحدث فى التاريخ أن برعت مطربة وكان فمها قبيحا . ففتحة الشفتين متوازنة الانفراجة والسبب هو سيطرة المطربة على حركاتها وأنفاسها . . وقلت : إن أم كلثوم كانت تخاف من «الآيس كريم» على حبالها الصوتية . .

ومحمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ لم يكن أحدهما يدخن أو يشرب الخمر ، خوفا على صحته . . فالموسيقار من الممكن أن يكون مريضا ، فهو لايواجه الناس . . ولكن المطرب لا بد أن يكون صحيحا وسيما . . وقد يكون المطرب ضعيف البنية كعبد الحليم حافظ ولكن حنجرته سليمة وأداءه وتحكمه فى الهواء الخارج من صدره والحروف بين لسانه وأسنانه لايزال قويا .

إن الناس فى فرنسا كانوا يندهشون عندما تغنى «أديث بياف» ويقولون : لو كنا نراها !

لأنها كانت نحيفة شاحبة تكاد تسقط من الإعياء لولا أن صوتها يرفعها إلى السماء . . ومستمعيها أيضا !



الحكومة الأمريكية لاتحل مشاكلها . إنها لاتستطيع ولا استطاعت فى أى وقت . ولذلك تلجأ إلى المعاهد والهيئات المتخصصة مقابل مبلغ من المال . فقد طلبت إلى معهد بروكنجز أن يحل لها مشكلة السلام فى الشرق الأوسط . فعكف علماء وخبراء المعهد على دراسة وتحليل ووضع تصور للمشكلة وإطار للحل . هذا الإطار هو الذى صار بعد ذلك معاهدة كامب دافيد . وقد نشرت ترجمة الإطار فى مجلة أكتوبر يوم سافرنا فيه مع الرئيس السادات إلى واشنطن لتوقيع هذه المعاهدة .

وقد طلب منى المشير الجمسى وهو على سلم طائرة الرئيس أن ألفت نظر الرئيس إلى التقرير . . وكانت مفاجأة . فلم يتصور الرئيس أن أحدا قد عرف هذا التقرير أو قرأه .

وعندما أرادت أمريكا أن تعرف ما هى مشكلة المياه القادمة فى الشرق الأوسط ، طلبت إلى معاهد أخرى أن تدرس وتقدم تصور لمراحل الحل . . وكذلك تفعل فى كل معضلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفضائية أيضا . وقد أسعدنى أ .د . أحمد حمزة رئيس جامعة المنصورة عندما قال لى : إنه

شديد الإيمان بهذه الفلسفة . فقد اتخذ شعارا : أن الجامعة فى خدمة البيئة ، فى خدمة الشعب . . فأنشأ ٣٢ مركزا فى كليات جامعة المنصورة . هذه المراكز تبيع خبرة العلماء لمن يشتريها من المؤسسات والهيئات والأفراد . فعلماء جامعة المنصور ة (يسوقون) علمهم وتجاربهم . . يبيعونها لكل من يحتاج إليها . . وتكون هذه السلعة خبرة علمية أو خدمية . . فى الإدارة والزراعة والصناعة . ولكى تتمكن جامعة المنصورة من الوفاء بكل الاحتياجات فى المستقبل فقد أضافت كليات جديدة فى المنصورة وفى دمياط للحاسبات والمعلومات والصحافة والتجارة الخارجية والعيون والآداب ومراكز للبحوث الزراعية ، كما جددت بيوت الطالبات وكذلك الخدمات الصحية لأعضاء هيئة التدريس ووسائل انتقالهم وأقامت مستشفيات جديدة لجراحة العيون والأطفال ومستشفى جامعيا . .

وأ .د . أحمد حمزة يعمل فى جامعة المنصورة من عشرين عاما ولم يفقد حماسه ولاحيويته . . ويتحدث عن كل شىء فى المنصورة وفى كلياتها ومعاهدها ومعاملها بحرارة وحيوية فهو نموذج للأستاذ العاشق لعلمه والمحب للعاملين معه . . وهو شديد التفاؤل بمستقبل المنصورة كعاصمة علاجية لمصر كلها . .

آه يا دكتور لو وجدت لنا حلا فى مشكلة وضعت خدى على كفى اليمنى ثم اليسرى . . إنها مشكلة الماء ، ليس ماء الرى ولكن ماء الشرب الكوكتيل من ماء الترع والصرف الصحى والذى يدفع الناس دفعا إلى معهد المسالك البولية والفشل الكلوى فى المنصورة أيضا !

مقياس الضوء

أنت لاتعرف معنى هذه الكلمة (ميكرو إنتر فيرو مترى) ولا أنا . ولكن معناها مقياس التداخل الضوئى . يعنى إيه ؟ يعنى جهازا يقيس لنا ماذا يحدث إذا تداخلت الأضواء أو الإشعاعات فى جسم . . سواء كان جسما زجاجيا أم نسيجا طبيعيا . . يعنى إيه ؟ أنت ترى موجتين فى البحر لهما قوة وصوت وتندفعان فى وقت واحد وتتصادمان وتقضى إحداهما على الأخرى . . وعند نقطة الالتقاء يوجد مقياس لقوة التصادم أو قوة سيطرة واحدة على الأخرى . يعنى ايه ؟ يعنى لو كنت تستمع إلى راديو ثم سمعت صفيرا . . فمعنى ذلك أن موجتين من محطتين مختلفتين تداخلتا فى نقطة واحدة وقضت إحداهما على الأخرى ، يعنى إيه ؟ يعنى هذا العلم يقيس التداخل الضوئى فى الأنسجة الطبيعية مثل القطن والصوف والحرير . . أو الألياف الصناعية المستخدمة فى الملابس مثل البوليستر أو النايلون أو الأكرليك . . أو الألياف البصرية التى تستخدم فى صناعة الأجهزة الدقيقة فى الاتصالات البصرية أو أجهزة التحكم فى تحديد الأهداف العسكرية للمدافع والطائرات والصواريخ . ويستخدمها علماء الفلك فى رصد النجوم والمجرات البعيدة عنا ألوف ملايين السنين الضوئية . . وهذه الأجهزة

موجودة فى المراصد الأرضية ، والمراصد المدارية مثل مرصد هابل . .

وأهمية قياس التداخل الضوئى فى الأنسجة لمعرفة سلامتها وشفافيتها وكفاءتها عند استخدامها . . أى معرفة مزاياها وعيوبها . .

وفى جامعة المنصورة يدرسون هذه التداخلات الضوئية بقصد خدمة الصناعة والتطبيقات العملية . . أى تسويق جهود العلماء من أجل تطوير الصناعات النسيجية الدقيقة عند الشركات والمصانع .

اليابانيون اخترعوا أنسجة جديدة لتطرد الحشرات والقضاء نهائيا على رائحة العرق فى الملابس . .

اثنان من علماء مصر يتقدمان الصفوف فى علم (ميكرو انتر فيرو مترى) هما : د . نايل بركات عميد علوم عين شمس السابق . . ود . أحمد أمين حمزة رئيس جامعة المنصورة والذى بدأ دراسة الألياف فى كلية علوم المنصورة من ربع قرن . .

وقد أشاد العالم البولندى الكبير ماكسميليان بلوتا فى موسوعته عن (مقياس الضوء) بمجموعة علماء الضوء فى جامعتى المنصورة وعين شمس .

هل فهمت ؟ أنا حاولت وهذا أقصى ما أستطيع !

الأسرة مشكلة !

من مشاكل العصر : الأميرة ديانا . . .

فقد كانت لعبة الصحفيين والمصورين والسياسيين والمحامين . . وهى لعبة خطيرة على العرش البريطانى . هى خانت وزوجها خان . والفضيحة عامة . وهى لقمة لذيذة بالشطة للقراء فى كل الدنيا . وقد ساعدت الجميع على الاستمرار فى تتبع أخبارها وفضيحتها . . فضيحتها لنفسها ولغيرها . وقد تفرجت على اللقاء الفاضح بينها وبين الصحفى الباكستانى . فقد كان صوتها متألما ذبيحا . بما معناه أنها غلبان مظلومة ازدراها زوجها فكيف لاتزدريه وتسود شخصيته وعيشة الست الوالدة ملكة بريطانيا . . وقد تحقق كل ذلك وزيادة . .

وإذا طال فستانها وإذا قصر وإذا اتسعت فتحة الرقبة وإذا هبطت إلى ما دون الوسط . . وإذا انشق فستانها على الساق . . وإذا انكمش مايوهها من قطعتين . . وإذا نزعت كل ذلك كما فعلت فى مبنى السفارة البريطانية فى القاهرة . ولما رأت المصور المصرى محمد جوهر وهو يتسلل بالكاميرا بين فروع الشجر اعتدلت عارية تماما . وبعث بالصور إلى مجلة (بارى ماتش) التى لم تنشر هذه الصور حتى الآن .

وذهبت لأطباء الرجيم . . ونقص وزنها حتى قيل إنها سوف

تموت . . وذهبت إلى أطباء التحليل النفسى . ثم اعترفت لسكرتيرها وعشيقها وحارسها وقالت عن نفسها وعن زوجها وأمه وأخته . . وانتقلت الأميرة من حياة ملكية إلى حياة صحفية فاضحة ومفضوحة . . وكل يوم تضيف جديدا ومفاجأة . والصحافة من ورائها ، والناس ينتظرون .

وأخيرا ظهرت لنا صورة بالمايوه . والصورة تبين أن لحمها قد ترهل . . وأن هناك بعض (الكرمشة) . . وانقلبت الدنيا . . فى هذه السن وعندها كرمشة . . غطى يا أميرة ساقيك ! وغطت الأميرة ساقيها . ولكن الناس قد عرفوا أن الأميرة مصابة بمرض بوليميا ـ أى مرض الرمرمة وتناول أى شىء فى أى وقت دون أن تشعر بأنها شبعانة . . ثم تشكو من وجع البطن وانتفاخ المعدة . . وهذه الرمرمة سببها حالتها النفسية واضطرابها العصبى . . والشعور بالاضطهاد والظلم الواقع عليها من (المؤسسة الملكية) التى تعاديها بلا رحمة . و أخيرا ظهر الساحر الإسرائيلى جيلر الذى تخصص فى ثنى الملاعق والشوك والسكاكين دون أن يلمسها . وهو ما يسمى فى علم النفس بالكننكس ـ أى تحريك الأشياء عن بعد !

وهذا الساحر الإسرائيلى ليس فى نيته عليها أن يلوى ذراعها أو يكسر رقبتها . . وإنما يريد أن يلفت نظرها إلى أن علاجها ممكن . وأنه سوف يوقظ قوى خفية فى داخلها . . تجعلها تريد الشفاء ـ أى أنه سوف يحرك إرادة الصحة والعافية والهدوء حتى تستقر على عرش بريطانيا !

فإن لم يفلح فلن يبقى إلا الزار المصرى وفك العَمَلات ، بفتح العين والميم ، وفى مصر ألف واحدة جاهزة لشفاء ست الحسن والجمال !

الصحب والكتب !

أنا من بدل بالكتب الصحابا
لم أجد لى وفيا إلا الكتابا
صاحب ـ إن عبته أو لم تعب ـ
ليس بالواجد للصاحب عابا
كلما أخلقته جددنى
وكسانى من حلى الفضل ثيابا
صحبة لم أشك منها ريبة
ووداد لم يكلفنى عتابا
إن يجدنى يتحدث أو يجد
مللا يطوى الأحاديث اقتضابا

هكذا قال شوقى فى مدح الكتاب الذى هو أصدق من الصديق والذى يجدد المتعة ويزيل الملل . . لا يبقى إلا أن تحسن اختيار هذا الصديق الجميل الرقيق العظيم المضىء . . وكلها أيام وتنتهى امتحانات الطلبة ، وتلتقط ملايين البيوت فى مصر أنفاسها . وتطلب من الله ولا يكثر على الله أن تشم هواء نقيا على شاطئ البحر وأن يكتب الله للطلبة النجاح . . أما الناس فقد اعتادوا قراءة الصحف والمجلات والإغماء الشديد أمام قنوات التليفزيون المصرى والعالمى . وليس أسهل من مشاهدة

التليفزيون ولا من قراءة الصحف والفرجة على المجلات . . ولكن الأهم هو الكتب . مئات الكتب المفيدة والممتعة أيضا . ومقياس الحضارة هو القراءة . والحضارة كتاب وفى أحلام كل منا عشرات الكتب يتمنى أن يجد وقتا لقراءتها . ولذلك يجب أن يوفر وقتا . لابد أن يفعل ذلك . فبغير الكتب لاتقدم ولا تطور ولا راحة ولا أمل فى ذلك .إننى أنظر إلى مئات الكتب أمامى وخلفى وفوقى وعلى الأرض . . وانتحر حزنا على أن الكتب كثيرة والوقت قليل . وأن جوعى وعطشى إلى كل ذلك لا نهاية له . وأنا لا أشبع ولا أرتوى . وافتح عينى بالقوة وأطرد النوم عن دماغى . . وأقعد وأجلس وأتمشى وظهرى يئن وذراعى وقدماى . . ولكن الكتب كثيرة . وقد وصلت إلى اتفاق بينى وبين نفسى هو : أننى لا أستطيع أن أتابع المطابع فى كل الدنيا . فالكتب الجديدة بالألوف فى كل وقت ، فإن لم أكن قادرا عليها كلها فبعضها . وإن لم أكن مستطيعا قراءة بعضها . . فبعض البعض هذا هو الذى أقدر عليه . . وأقدر أيضا على تقليب هذه الكتب . . فصل من هنا . . وصفحات من هناك . . وأستسلم لأحلام ذهبية بأنه سوف يجىء وقت أقرأ كل ذلك . والوقت لايجىء . فالكتب تزيد وتتكدس بعضها فوق بعض . . وعذابى أيضا . ولا أذكر أن الكتب غابت عن عينى فى أى وقت . . وفى أية رحلة إلى أى مكان . .

فعلا إن الكتب أصدق وأعمق وأنفع وأجل من أى شىء فى هذه الدنيا . . فاختر لك كتابا لهذا الصيف أو اثنين أو عشرة المهم أن تنظر فى الكتاب مرة وفى الماء مرة . . لن تندم أبدا .

ملحوظة : وهذه أشهر غلطة لشوقى !

فالأصح أن يقول : أنا من بدل بالصحب الكتابا . . فحرف الباء يدخل على الشىء المتروك ، وهو ترك الأصدقاء من أجل الكتب ! !

نتنياهو..

يسمونه الملك بيبى ـ وكان عندنا فى مصر أكثر من ملك بهذا الاسم من ٤٥ قرنا ـ وهذا الملك بيبى ـ تدليل لبنيامين ـ عندما ولد كان بيريز قد اعتلى المسرح السياسى ليبدأ تجربته الشاملة فى دراسة التاريخ والاقتصاد . . ولكن الشعوب اليهودية فى إسرائيل فضلته بفارق واحد فى المائة على بيريز فقد رفضت (هرولة) بيريز نحو السلام !

والذين رأوا نتنياهو فى التليفزيون مع الأمير حسن ولى عهد الأردن وجدوا رجلا كأنه ملاكم منفرج الساقين واليدين ، فكانت فجيعتهم كبرى عندما جاء رئيسا لوزراء إسرائيل . ولكن هو بالضبط ما يريده المتشددون فى إسرائيل الذين يفزعون كلما رأوا القوات الإسرائيلية تتراجع والأعلام تختفى . . ويتذكرون ما حدث فى قلعة (المسادا) عندما حاصروا اليهود حتى ماتوا .

ونتنياهو يعتبر من الصابرا ـ أى الذين ولدوا فى إسرائيل وإن كان قد تعلم فى أمريكا . ولم يعد إلى إسرائيل إلا ليدخل الجيش فى سلاح الاستطلاع وراء خطوط العدو . وهو الذى اشترك فى الهجوم على مطار بيروت . . وأخوه الأكبر هو الذى قاد حملة إنقاذ الطائرة الإسرائيلية المختطفة فى مطار عنتيبى .

وكان أول الضحايا . .

أما أبوه فهو أستاذ فى التاريخ تخصص فى عذاب اليهود فى

أسبانيا وفى محاكم التفتيش بالذات . وكان صديقا لمناحم بيجين . أما الملك (بيبى) فقد ألف كتابين عن الإرهاب أيضا .

وليس الملك بيبى هو أول زعيم سياسى اتهموه بخيانة زوجته ، فقبله فعل ذلك كثيرون منهم جولدا مائير وموشى ديان . . ولكنه كان أشجعهم فقد اعترف بذلك لزوجته الثالثة سارة .

أما السؤال فهو : هل يستطيع أن ينقض كل اتفاقيات السلام ؟

والجواب المؤكد : لا . . هل يستطيع أن يكمل السلام بغير المفاوضات ؟

والجواب المؤكد : لا . . ولن تمكنه أمريكا من ذلك . فما الذى يستطيعه ؟

إنه يستطيع فقط أن يكون خشنا غليظا فى مكافحة الإرهاب العربى والشيعى .

وسوف تخمد الحدة الواضحة فى كلماته وحركاته وتتكوم الهموم والمصائب أمامه وسوف يعرض نفسه على الزعماء فى العالم العربى . يؤكد ويطمئن . والزعماء سوف يعلنون كل كلمة يقولها فيكون ذلك التزاما عالميا .

وسوف يبدأ بأصعب المشاكل : سوريا والجولان ولبنان . فهل يساعده الرئيس الأمريكى وهو يخوض حملته الانتخابية غارقا فى فضائح مالية وجنسية ؟

إن السلام قد بدأناه مع بيجين زعيم الليكود . . وكانت الحرب فى سنة ١٩٧٣ مع جولدا مائير زعيمة العمل . . وتغيرت الأوضاع وكما سرق العمل السلام من الليكود ، فإن الليكود قد عاد وسرق أضواء السلام من العمل . . والسلام هو الذى سوف يكسب فى النهاية !

قولوا حاجة!

أعاد الأستاذ الصديق رجب البنا تساؤلاتى عن تلوث مياه الشرب وطلب هو الآخر أحدا يقول أى حاجة . . قل باحبك . . قل كرهتك . . بس قل لى أى حاجة . وحياتك لاردوا عليه ولن يردوا . وتبقى مشكلة الماء الذى يشربه ستون مليون مصرى كما هو . . سم فى سم . . اللهم إلا الناجين من النار من أبناء أسوان والنوبة . فالماء قد جاءهم زلالا سائغا من السودان والحبشة !

وقد طلب منى الأستاذ الدكتور مصطفى طلبة الخبير العالمى فى شئون البيئة أن ألتقى فى الإسكندرية مع عدد من الخبراء فى شئون البيئة . واعتذرت . وكانت حجتى : ما الذى يمكن أن أضيفه ؟ فقد كتبت كثيرا . وقلت كثيرا . ونكدت على الناس حياتهم : ماذا يشربون ومن أين وكيف . . ويسألوننى إذا كان هذا رأيى فى ماء النيل وماء الحنفية فما الذى أشربه أنا ؟ وكان ردى الذى تمنيت أن يقوله بسلامتهم السادة الوزراء والوكلاء وإشى جيولوجى وإشى بيولوجى أن نغلى الماء . وبعد أن نغلى الماء أن نصبه على قطعة من القماش . . وأن نتفرج على الطين والرمل

والحديد والنحاس الذى يتخلف فى القماش . . وكان المفروض أن يستقر فى المعدة وبعدها فى الكلى والمسالك البولية تمهيدا لانتقال ألوف المرضى إلى المستشفيات العلاجية فى المنصورة . وقد أوصيت د . محمد غنيم بمئات من مرضى المياه فى المحافظات الأخرى !

هذا ما قلته لملايين القراء ، فلا معنى أن أعيده لعشرين مستمعا ! حتى هذا الكلام البسيط جدا لم يقله أحد . خوفا من أن يكون معنى هذا الكلام هو اعتراف رسمى بأن الماء غير صالح للشرب ! نحن هنا فى القاهرة لا نرى الصورة البشعة التى يراها أبناء شمال ووسط الدلتا ، عندما تختلط بمنتهى الوضوح مياه الشرب بمياه الصرف الصحى . .

فالدولة همومها ومصائبها كثيرة . ويجب أن توفر الرغيف فى البيت والسرير فى المستشفى والكرسى فى المدرسة وأن ترصف وأن تبنى وأن تحمى . وكل هذا كلام على العين وعلى الرأس . ولكن هذا الهروب بالصمت الرهيب ، هذا الخوف المرضى من الاعتراف بالحقيقة . فتلوث الماء فى مصر ليس جريمة اقترفها د . عاطف عبيد ولا البيولوجى صلاح حافظ . ولا أى أحد وإنما هى تراكمات زادت وفاضت وأصابت وأوجعت وقتلت . . .

يا ناس قولوا حاجة ! !



قبل أن يعيش الإنسان على سطح المريخ فى كهوف تحت السطح أو فى بيوت مكيفة الهواء والضوء فوق السطح ، بدءوا يفكرون فى الشهور والأيام . فمن المعروف أن السنة على المريخ هى ٦٦٩ يوما ولذلك سوف تكون السنة ١٨ شهرا وكل شهر ٣٧ يوما . .

أما الأيام الزائدة فسوف يضيفون يوما لكل من الشهر السادس والثانى عشر والثامن عشر فيكون ٣٨ يوما . .

وعند نهاية هذا العام تنطلق سفينة إلى المريخ عندما يكون قريبا من الأرض ٣٥ مليون ميل ـ وسوف تقطع هذه المسافة فى ٢٠٠ يوم وتدور حوله تلتقط خرائط جديدة لسطح المريخ ـ الجبال والوديان وبقايا البحيرات والبراكين . . . وفى ٢٠٠٥ سوف تنطلق سفينة فضاء أخرى لكى تبقى على سطح المريخ ٥٨٠ يوما .

والجديد فى هذه السفينة أنها رخيصة التكاليف وأن بها مفاعلا يستمد طاقته من أشعة الشمس وهذا المفاعل ينفتح ليلا ليمتص الغازات الرقيقة القليلة فى جو المريخ وهى قليلة بسبب ضعف جاذبية المريخ . . وفى النهار يقوم المفاعل بتحويل الغازات إلى أوكسجين سائل ـ أوقية كل يوم . وهذه الكمية تكفى لرحلة العودة إلى الأرض .

ومن السفينة سوف تخرج عربة فضائية تجمع عينات من أرض وصخور المريخ ـ فقط خمس أوقيات .

وفى ٢٠١٨ سوف تطلق أمريكا سفينة فضاء بها ثلاثة من الرواد إلى المريخ .

وحول المريخ يدور جسمان هما : فوبيوس ودموس ـ وهما كلمتان يونانيتان معناهما : الرعب والخوف . . . وليسا قمرين ، ولا يعكسان ضوءا على المريخ لأنهما صغيران جدا ، واحد قطره ٢٠ ميلا والثانى عشرة أميال . . . . وقد اكتشفهما الفلكيون سنة ١٨٧٧ . ومن الغريب أن الأديب الإنجليزى سويفت والفيلسوف الفرنسى فولتير قد تحدثا عن قمرين تابعين للمريخ ، ولم يكن فى العالم كله تلسكوب أو مرصد يستطيع أن يرى ذلك !!

والمشكلة التى تواجه علماء الفضاء الأمريكان ليست الرحلات الفضائية فى داخل المجموعة الشمسية ، فقد تحقق ذلك وبصورة علمية خرافية . . ولكن مشكلة طعام الرواد . . وكيف يحملون معهم مفاعلات لتصنع الماء والهواء سنوات طويلة . . . فالرحلة ذهابا وإيابا تحتاج إلى أكثر من سنتين . . والبقاء هناك ربما سنة أو سنتين . وهناك اقتراح روسى بأن تنتقل رائدات فضاء من روسيا لإجراء تجارب على الحمل والولادة والرضاعة وإن كان الأمريكان يفضلون الحيوانات الصغيرة فى هذه الظروف الفريدة القاسية على الرجال والأقسى على الأطفال . . . ولو مات طفل لانقلبت الدنيا ضد الوحشية الأمريكية ونسى الناس الفوائد العظمى التى حققتها وسوف تحققها الرحلات الفضائية . .

زوجها العظيم ..

أنت فاكر جورباتشوف ؟ ! الرجل العظيم الذى هدم الإمبراطورية الحمراء على أدمغة الشيوعيين فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية . وهو الذى وحد ألمانيا شرقا وغربا مقابل ألوف ملايين الدولارات دفعها هيلموت كول راضيا . هذا الرجل جورباتشوف كان فى نيته إصلاح الشيوعية من داخلها ، وليس القضاء عليها .

وهو الآن يحاول أن يعود إلى الحكم ليعرض نظاما معتدلا من الشيوعية ـ الاشتراكية مثلا .

وسوف يمنعه الشعب الروسى من العودة ، فقد أعطاهم الحريّة ، ملفوفة فى الفقر والحقد والجرى وراء الرأسمالية بأى شكل . أما الشكل الذى اختاره الروس فهو السرقة والنهب والمافيا وتجارة الدعارة والمخدرات !

وزوجته «رئيسا» أستاذة الفلسفة حزينة على اشتغال زوجها بالسياسة . ولم تفلح فى منعه من ترشيح نفسه للرياسة . فليس أسوأ من الثوار حظا إلا المصلحون . وقد كان ثائرا ويحاول أن يكون مصلحا !

وهى تذكر سنوات الكرملين على أنها أتعس سنوات حياتها . فلم يكن فيها إلا العزلة وأوجاع الظهر والمفاصل . ويوم الانقلاب عليه سنة ١٩٩١ أصيبت بأزمة قلبية كادت تقضى عليها . ومنذ

ذلك اليوم وهى تسمع شتيمة زوجها بأذنيها واتهامه بأنه العميل الخائن . . . ثم الرئيس يلتسن يتجسس عليه ليلا ونهارا ويشيع كذبا أن الناس تبصق عليه وتضربه بالجزمة فى الشوارع !

وتعترف (رئيسا جورباتشوف) بأنه ليس صحيحا أن لديها كارت (أمريكان إكسبريس) فى أى وقت . . . ولما كانت تتردد على بيوت الأزياء والعطور فى باريس ، وتتلقى الهدايا من كل الدنيا ، فهذا طبيعى لأنها زوجة نجم نجوم القرن العشرين . . . . وفى ذلك الوقت لم يكن لديها مال . أما الآن وبسبب بيع كتب وأحاديث جورباتشوف فهى غنية !

ثم إنها حزينة على المعاملة السيئة التى يلقاها زوجها فهى تقف فى طابور الجمعية بالساعات والنساء من حولها يغمزن ويلمزن ويشتمن زوجها والدموع فى عينيها ولاترد بكلمة واحدة .

وفى الانتخابات الروسية أشكال وألوان من النظريات فى السياسة والاقتصاد . . . فهناك المتطرفون الشيوعيون والمتطرفون النازيون الذين يريدون عودة الإمبراطورية الشيوعية والابتعاد عن أمريكا والرأسمالية . . . والشيوعيون يريدون عودة الحاكم الشامل مع الكبرياء والفقر المؤقت ـ هذا الفقر المؤقت استغرق سبعين عاما . والروس ليس عندهم أدنى استعداد لاستئناف الفقر بعد أن عرفوا أوروبا وأمريكا وذاقوا حلاوة الحرية ومرارة القليل منها . . . . تقول رئيسا جورباتشوف : لو كانوا يفتحون الباب لزوجى ولو مرة واحدة !

فعندما تذهب مع زوجها إلى المطار ، فإن أحدا لايفتح له الباب ولايفسح له الطريق ثم إنهم يحشرونهما معا فى مقاعد الدرجة الثانية مع كل الساخطين عليهما !

إلى العمل !

أدان الرؤساء فى شرم الشيخ كل أشكال الإرهاب والعنف وأنه ضد كل الأديان . . وكانت كلمة الرئيس مبارك حارة حميمة ، وهو يتحدث إلى شعب فلسطين . . ثم إلى شعب إسرائيل . . ثم إلى الصديق ، والشقيق وإلى حماة السلام .

وهتف الرئيس الأمريكى كلينتون بحياة السلام وسقوط الإرهاب . .

وعرض الرئيس عرفات قضيته كاملة ، واتهم إسرائيل بأن التجويع هو الذى يولد العنف والإرهاب .

وتحدث بيريز فاتهم إيران مصدرا للإرهاب وتمويله وتدريبه . . وأن الإرهاب يستخدم التكنولوجيا الحديثة : وأن له بنوكا فى كل مكان .

وارتجل الملك الحسن الثانى قائلا بأن صانع السلام أو صانع أى شىء نجاحه نسبى . . ولذلك يرى أن السلام يجب أن نبدأ به ونكمله ، وإنه من أجل ذلك كان اجتماع الرؤساء . .

وقال سكرتير عام الأمم المتحدة بطرس غالى : إن الإرهاب قد أصاب العالم كله . وإنه لا أحد ينجو من الإرهاب . . ولكن يجب أن نعمل جميعا على مواجهته . . لأن هناك دولا تعطى أموالا وتدريبات وتعليمات . . كما أن هناك شبكات الإذاعة والتليفزيون تشجع الإرهاب وتدعو إليه . . ثم ختم كلمته بقوله : إن الأمم المتحدة فى انتظار أوامركم . .

وقالت رئيسة وزراء النرويج : بروتنلاند إن الأقلية الإرهابية ألعوبة فى أيدى المجرمين . ولم يكسبوا إلا الدم ـ وأن عرفات يجب أن تكون له السلطة ليقضى على الإرهاب وهى تؤيد إسرائيل فى دفاعها عن نفسها . . ويجب أن يستمر السلام وسوف تشرق شمسه على الجميع . .

وأعلن المستشار الألمانى كول عن حزنه العميق لما أصاب الشعب الإسرائيلى ويرى أن الإرهاب يقضى على السلام فى كل مكان . ولكن لا بديل عنه أسلوبا للحياة والرفاهية . . أما رسالة هذه القمة ضد الإرهاب فهى أن السلام الشامل هو قضيتنا جميعا . .

وجونز أليس رئيس وزراء أسبانيا الذى نسى الرئيس عرفات أن يشكره فهو يؤمن بأن العالم قادر على مواجهة الإرهاب . . ولابد من مواجهة هذا التحدى ونحن قادرون على ذلك وبسرعة ومساعدة فلسطين وإسرائيل . .

وجون ميجور رئيس وزراء بريطانيا أبدى استعداده لتدريب البوليس الفلسطينى لمواجهة الإرهاب الذى تصدره إيران وليبيا . . (وفى هذه اللحظة وفى اسكتلندا أطلق مجنون النار على عشرين طفلا فقتلهم ثم قتل نفسه !!) .

وأعلن الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية استنكاره لما حدث فى مذبحة تل أبيب تماما كما استنكرت السعودية مذبحة الحرم الإبراهيمى من قبل . كما أن السعودية تدعو للسلام الشامل لكل شعوب الشرق الأوسط . . ثم طالبت بالعودة إلى مؤتمر مدريد . .

والآن انتهى الكلام الحلو ولايبقى إلا العمل العنيف ضد العنف !

تحذيرات نبى !

فى عهد الأسرة المصرية القديمة صدر كتاب لمؤلف عظيم مجهول يتحدث فيه عن الفوضى والانحلال الذى أصاب مصر مئات السنين . . فكانت صورة حزينة موجعة للقلب والعقل لهذا الذى أصاب أجدادنا . حتى أحس الناس أنه لا أمل فى نجاتهم من أى شىء . . والكتاب معروف فى التاريخ القديم باسم (تحذيرات نبى) لملك مصر بيبى الثانى الذى جلس على العرش وهو فى السادسة من عمره ٩٤ عاما حتى انهارت مصر وهو أيضا . أما الأديب المجهول فقد سجل لمصر وعليها كل أشكال الانحلال والجوع والخوف والفتنة . بسبب هجمات البدو عليها ، وبسبب الخلافات الداخلية التى أدت إلى حروب أهلية طويلة . . وإلى سخط عام كسخط الشعب الروسى أيام الثورة البلشفية ـ هكذا يقول المؤرخون المعاصرون .

والأديب المجهول يتكلم عن فوضى الإدارة ، مدنيين وعسكريين ، وعلى انتشار الفساد والسوق السوداء والمافيا وابتعاد الناس عن الدين . . وانفلات المجتمع فالذى كان فوق صار «تحت» والذين صاروا فوق . . الفقراء يملكون والأغنياء يتسولون . . والذين يرتدون الذهب هم الذين سرقوه قبل ذلك . . والناس يلقون

بأطفالهم فى الشوارع والموتى يلقون بهم فى النيل دون دفن حتى أصيبت التماسيح بالتخمة .

وانتشر الحزن والأسى . . والذين لم يكونوا يفهمون فى الموسيقى يعزفون ويغنون والذين يفهمون يضعون رءوسهم على أيديهم إلى جوار الحائط .

ويقول الأديب المجهول : إن المرأة التى لم تكن ترى وجهها إلا فى سطح الماء أصبحت عندها مرآة . . وصاحبة المرآة لاتحب أن ترى وجهها على سطح الماء . . والذين كانوا يستحمون كل يوم ويغيرون ملابسهم ، أصبحت ملابسهم ممزقة مهلهلة . .

والملك العجوز (بيبى الثانى) الذى عنده كل المعلومات وكل السلطات غير قادر على فعل شىء . لا هو قادر على القرار ولا هو فاهم لما يدور حوله . .

والذين كانوا يذبحون للآلهة أبقارا ، أصبحوا يذبحون لها الأوز . وبعض الناس لايرون ذلك ضروريا . . فلا ضرورة للدفن ولا ضرورة للتحنيط ولا ضرورة للعبادة ـ بل إن الناس يتشككون فى وجود الآلهة فيقولون : أين هم الآلهة لكى نذبح لهم ؟! . .

وبعض الناس يبكون ويصرخون ويقولون : يا ليتنا متنا قبل هذا . .

هذا الكتاب التحفة الأدبية لمفكر مجهول قد صور عصره والعصر السابق عليه . وألقى بالهموم كلها فوق دماغ الملك وأدمغة الشعب الساخط على الملك وعلى زمانه ـ وكان ذلك من ٤٥ قرنا .

إلى النار ..

الطريق إلى النار محفوف بالنيات الطيبة ـ فكثير من الجرائم والمصائب ارتكبها أناس بحسن نية . ولم يشفع لهم ذلك . ولكن العبرة بالنتيجة . والأمثلة عندى وعندك كثيرة .

ولكنى أختار نوعا واحدا منها . فقد تصورت أننى أستطيع أن أجعل أفواها تبتسم أو قلوبا تخفق . . لنسمة سعادة . . للمسة سعادة . هكذا تصورت عندما كتبت مقالا عن الشاعر الألمانى ريلكة فى (آخر ساعة) . ولما وجدت أن مرض الشاعر هو بالضبط مرض الأديب صلاح ذهنى المسافر إلى بريطانيا للعلاج ، أجلت نشر المقال . حتى لايقرأه صديقى صلاح ذهنى سكرتير الأوبرا وسكرتير آخر ساعة . وقيل له ذلك . . ولما تأجل سفره هو أيضا قرأ المقال قبل السفر ـ وأحزنه . . فأحزننى أيضا ! !

ولما كتبت مقالا عن صديقى الشاعر صالح جودت . عن شخصيته وشعره وفنه ورقته . فقد أردت أن أبعث له على البعد بتحية . . باقة ورد وهو طريح الفراش فى لندن . وفوجئت به يكتب خطابا للناقد الأديب مأمون غريب يشكونى إليه . . فقد نعيته قبل الأوان !

ولما كتبت مقالا عن مصطفى أمين وعلى أمين وعن الفرق بين

(شخصية)وأسلوب وفلسفة كل منهما . وكان على أمين مريضا فى المستشفى . فقال لى مصطفى أمين : على أمين زعل . . وقال لى على أمين : مصطفى أمين زعل أى أنهما غضبا من المقال . فقد توهما أنه نعى سابق لأوانه . مع أننى قصدت أن أقيم لهما حفلة شاى - حبا وإعجابا !

وكتبت مقالا عن يوسف إدريس أحكى كيف التقينا . وكان اللقاء بناء على طلب يوسف إدريس . . فقد كتبت مقالا فى ذلك الوقت إعجابا بمجموعة قصصه الأولى (أرخص ليالى) . فقال لى : إنه سوف يقف أمام أحد المحلات فى شارع سليمان باشا ويمسك منديلا يحركه يمينا وشمالا كما تفعل صباح وهى تغنى . لكى أعرفه . . وتذكرت تلك الأيام الأولى من حياتنا الأدبية . وأحزنه ذلك هو الآخر - فقد كان مريضا !

وشكانى موسى صبرى فى مستشفاه فى واشنطن للسيدة جيهان السادات . أما شكواه فهى أننى كتبت نعيا له قبل الأوان . . مع أننى فقط أردت أن أحييه وأن أتمنى له الشفاء . . أعمار الكاتب والمكتوب عنه !

وكنت قد اتفقت مع وجدى قنديل رئيس تحرير آخر ساعة أن أكتب مقالا طويلا عن الصديق موسى صبرى . ولكنى غيرت رأيى . . ثم كنت قد وعدت مفيد فوزى رئيس تحرير صباح الخير بدراستين عن موسى صبرى ويوسف إدريس . ولم أفعل بعد ذهابهما . فقد كان يعنينى أن يقرأ الكاتب رأى صديق فيه . . ولما توفيا . لم أكتب عنهما سطرا واحدا !

مطلوب منا..

أقول لك ما هو المطلوب ؟

إننا لانطلب المستحيل . ولكن المعقول . والمعقول هو أن يظهر المسئولون يقولون . . لابد أن يقولوا كلاما مفهوما لكل الناس . لا أريد إحصائيات تضاعف الهم والغم عند كل الناس ، فالذى عندهم يكفيهم وزيادة ونحن قادرون على إفراز الهموم بغزارة نستحق عليها شهادة الأيزو الدولية .

نقول للناس : يا ناس . الماء ملوث . والحلول الشعبية كثيرة . أما الدولة فسوف يكون لها حلول أخرى . ولكن الآن مطلوب منكم أن تفعلوا ما يأتى : الامتناع عن صرف دورات المياه فى الترع والقنوات . بس امتناع . وليكن ذلك ـ ونحن نتحدث إلى أبناء الريف ـ بعيدا عن المجارى المائية .

شىء آخر : يجب غلى الماء فى صفيحة فوق كانون . وترك الماء المغلى بعض الوقت حتى يرسب ما فيه . . أو أن نصب الماء المغلى على قماش نظيف لعزل بعض العوالق بعد أن أفلح الغليان فى القضاء على الطفيليات الموجودة فى الماء .

والذى عنده ثلاجة فى استطاعته أن يضع فيها زجاجات الماء بعد الغليان ليتمكن من شربها بعد ذلك .

وهناك من يستطيع أن يشترى الفلتر . وميزة الفلتر المصرى أو الأجنبى أنه يغلى الماء وفى نفس الوقت يقوم بترسيب المواد الصلبة الضارة .

واقتراح أن تقوم الدولة بصنع ملايين الفلاتر ودعمها وتوزيعها على الناس . . إن هذا هو نصف العلاج لأنه الوقاية من أضرار وأمراض كثيرة . . وأرى مادامت القوات المسلحة قد عرضت علينا الماء (صافى) الذى رأيناه فى التليفزيون ولم نره فى الأسواق ، فلماذا لانقيم بدلا من المصنع الواحد عشرين مصنعا لكل مصر وأن نجعل سعر الماء مدعوما ، فهو لايقل أهمية وخطورة عن الخبز ، وغيره من ضرورات الحياة التى تدعمها الدولة . . . وأن نتواصى جميعا بترشيد هذا النوع من المياه . . . وهناك رأى بأن تؤجل الدولة بعض مشاريعها سنة أو ثلاثا . . وتحول الإنفاق على هذه المشاريع إلى الإنفاق على الماء القاتل لكل المصريين . . . . وليته يفعل . . . فذلك أرحم من ويلات العذاب فى المستشفيات الهزيلة حيث يستعصى الداء ويعز الدواء قبل أن يبلغ المريض مستشفيات المنصورة النموذجية .

إن دولة كوبا لكى تمحو الأمية أقفلت المدارس والمعاهد والجامعات وجعلت الطلبة يعلمون الشعب الجاهل . حتى صار شعب كوبا كاتبا قارئا فى سنة واحدة ـ شىء من مثل ذلك فى حرب الماء القاتل !

العاصمة الطبية..

ليس قرارا من أطباء وعلماء جامعة المنصورة وإنما هى إرادة عامة أن تكون المنصورة ، العاصمة الطبية لمصر . فلا تخدم أبناء الدقهلية (خمسة ملايين نسمة) وإنما كل محافظات الوجه البحرى وهذه الإرادة واضحة فى المستشفيات النظيفة المنضبطة والمزودة بأحدث ما ابتكر مهندسو الغرب من أجهزة للعلاج والحفاوة وتدليل المريض الغلبان الذى لايجد ثمن الدواء . فليكن . فهذه المستشفيات قامت لخدمة المواطن المصرى . . تستطيع أن تدخل هذه المستشفيات الجامعية وغيرها وأن تلمس مدى النظافة والنظام من مجرد رؤية الممرضات على أبوابها وفى الطريق إليها . . فملابسهن بيضاء نظيفة ، والوجوه فى غاية السماحة . .

وفى كل هذه المستشفيات عقول إلكترونية تربطها وتنظمها .

وقد جربت المنصورة مثلا أعلى رفيعا فى مصر وفى العالم ، وذلك فى مركز الكلى ، أو كما يسمونه مستشفى الدكتور غنيم . ولا أحد يعرف بالضبط ما الذى يفعله د . غنيم . إنه موجود هناك . والمستشفى ملكه أو إحدى شركاته وهو واحد من المديرين . .

المهم أنه مستشفى الدكتور غنيم وهو المثل الأعلى للطبيب

الذى قرر أن تكون حياته عمله ، وعمله مستشفاه ، ومستشفاه فى خدمة كل الناس . وليس هناك أحد فى مصر لم يبعث للدكتور غنيم بمريض ويوصيه به خيرا . ويكون د . غنيم عند حسن ظن الجميع . .

وفى المنصورة علماء كبار متفانون مثله من أجل سلامة المريض . رأيت وتأكدت وسمعت فتأكدت أكثر . وأحدث ما أقامت جامعة المنصورة (مستشفى الطوارئ) . وقد استطاع رئيس جامعة المنصورة د . أحمد حمزة بروحه اللطيفة ومرحه الوقور أن يجمع شتات الأساتذة . وأن يجعلهم أصابع فى كف واحدة فى ذراع واحدة فى جسم واحد هو جامعة المنصورة . وكانوا قد اختلفوا وتنافروا . وهم سعداء بهذا الرجل ، كما أنه أكثر سعادة بهم . .

سألت الأطباء فى جامعة المنصورة : قولوا لى أيها العلماء ما سبب أمراض الكبد والمسالك البولية وبهذه الكثرة فى كل محافظات الدلتا ووسطها وشرقها وغربها ؟

فقالوا هناك ثلاثة أسباب : السبب الأول هو الماء الملوث ، والسبب الثانى هو الصرف الصحى والسبب الثالث هو الهواء الملوث . وإن كان أحد العلماء قد قال لى : بل سبب واحد هو الماء الذى اختلط بالصرف الصحى . . وأصبح الإنسان هو محطة الانتقال من الصرف الصحى وإليه ، وهو يضاعف الجراثيم وينقلها ويحتفظ بها حتى يجىء إلى المستشفيات طريح الكبد الوبائى - وليس هذا اكتشافا ، وإنما هو حقيقة علمية مؤكدة نعرفها جميعا !

حرب الماء ..

عندنا نوعـان من حـروب الماء . الحـرب الأولى أن الماء بدأ يتناقص فى أفريقـيا وفى نهـر النيل وأننا رغم ذلك سـفـهـاء فى استهلاكه . .

أمـا الحـرب الثـانيـة وهى الأخطر : فـهى أن الماء الذى تشـربه مسموم . . والله العظيم ثلاثا مسموم . وأننا يجب أن نحارب الماء نفسه ، لا أن نحارب من أجل الحصول عليه . وأن الماء الذى نشربه قد اختلط بالصرف الصحى ، وبالحيوانات النافقة والمواد الكيماوية من مخلفات المخصبات والمبيدات الحشرية . . وأخطر من كل ذلك ـ والله العظيم ـ هو مخلفات المصانع على النيل . . ويجب أن نضيف إلى ذلك وبكل ثقة ويقين سـمـومـا أخـرى فى الهواء ليس أقلها الرصاص . .

وبعملية حسابية بسيطة تجد أن حياتك واستمرارك معجزة من المعجزات . لماذا ؟ لأنه لايوجد مصرى واحد ليس مريضا أو سوف يكون مريضا . فإن لم يكن مريضا فأكبر دليل على أنه فى الطريق إلى ذلك هو شعورى وشعورك بالإرهاق دون أن تكون قد بذلت أى مجهود !

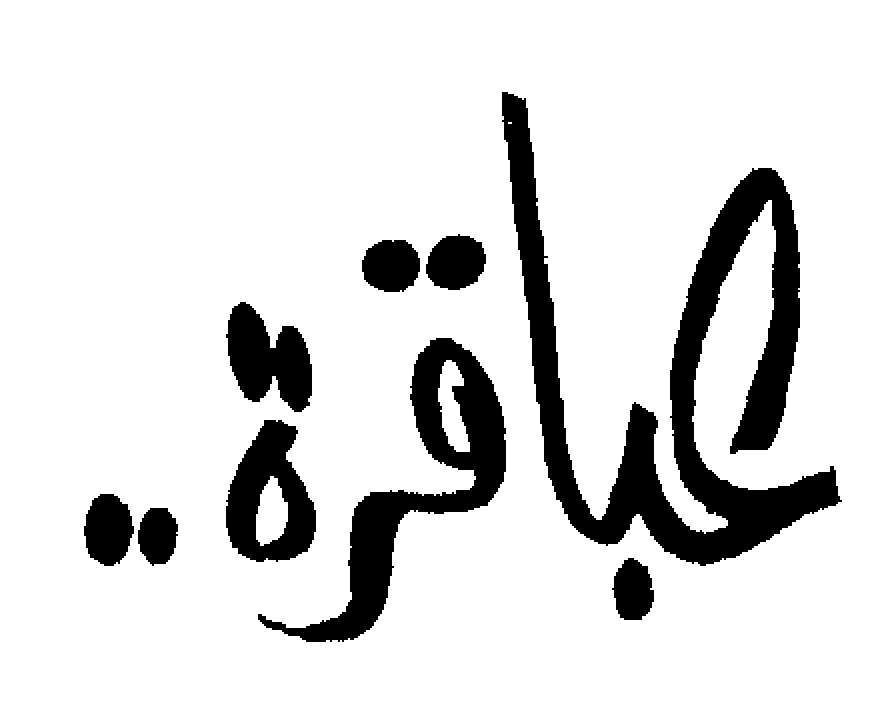
لماذا نحن قد اتهد حيلنا ؟ لماذا نحن فى حـالة انهيـار . . لماذا

إنتاجنا أقل ؟ لماذا ساعات عملنا ليست ساعات . . وإنما هى ساعات قد نقصت كل واحدة عشرين أو ثلاثين دقيقة ! إننا قد انزعجنا من عشرين عاما عندما نشرت الحكومة إحصائية رسمية بأن متوسط ما يعمله المواطن المصرى هو ٢٦ دقيقة فى اليوم . . عادت الحكومة وقالت : لقد سقط صفر سهوا . . فالمقصود هو ٢٦٠ دقيقة فى اليوم - ياريت !

بل يمكن أن نقول دون مبالغة : إنه من بين كل عشرين مواطنا يوجد واحد فقط هو الذى يعمل بذمة . . والباقون معطلون له أو شامتون فيه أو متفرجون على خيبته . . إذ كيف يكون أى انسان مخلصا فى عمله وهو يتقاضى هذا الأجر التافه . فما الحل إذن ؟ الحل هو أن يهنكر أو يرتشى أو يسرق ؟!

والله خالق الإنسان والماء يقول : وجعلنا من الماء كل شىء حى . . فالماء هو مصدر الحياة ، والماء الملوث هو مصدر الحياة الميكروبية فى جسم الإنسان وفى الهواء وتحت قدميه . . والإنسان أصبح يتوسط دورة المياه . . فماء الصرف الصحى الذى يشربه يعيده إلى الأرض أكثر تلوثا ليشربه مرة أخرى . . وهكذا يموت الإنسان وتعيش الميكروبات !!

هذه هى حرب الماء التى يجب أن نحتشد لها . . أن نحاول القضاء عليها لأنها تقضى بالفعل علينا . . وليس مرضى الكلى والكبد والسرطان والتخلف العقلى التى تسبب التخاذل فى حرب الماء !



هل هناك موهبة ؟ نعم . هل هناك عبقرية ؟ أو لا ما هى العبقرية ؟ العبقرية هى مقدرة فريدة عند شخص على العمل المتميز فى مجال من المجالات . والعباقرة كثيرون : موتسارت وبيتهوفن فى الموسيقى . . نيوتن وأينشتين وهيزنبرج فى الفيزياء وشيكسبير وجيته فى الشعر ، ودستوفيسكى ومورافيا فى الأدب ، وهيجل وماركس وسارتر فى الفلسفة . . والخلافات بين أشكالهم ومواقعهم فى بلادهم وزمانهم واضحة جدا .

ولكن شيئا واحدا يجمع بينهم هو : العمل الشاق وبلا ملل ، والاستعداد للتضحية بكل شىء من أجل العمل .

مثلا عبقرى الموسيقى الطفل المعجزة موتسارت الذى دربه أبوه على العزف على البيانو عشرة آلاف ساعة . وكان أبوه يدفعه إلى الناس ليؤكد لهم امتيازه ، ويؤكد لابنه أنه مختلف . وأنه الأقدر والأفضل . . فلم يعرف موتسارت الطفولة ولا عرف اللعب ولا كان له أصدقاء . . لقد كانت طفولته شاقة خشنة . . وكان هو أيضا . .

والعالم العظيم نيوتن كان يعمل ليلا ونهارا وينسى أنه أكل أو شرب . . وكان إذا تناول طعاما سجل ذلك فى ورقة حتى لا يأكل

مرة أخرى . . وكثيرا ما أحس بالجوع وراح يبحث ساعات عن الورقة التى اعتاد أن يكتبها . . ونسى أنه بدلا من إضاعة الوقت بحثا عنها ، أن يأكل . . وإيه يعنى لو أكل مرة أخرى ؟ فالعبقرية هى : عرق وأرق . هذه هى نظرية عدد من علماء النفس والتربية الأمريكان والإنجليز . تدعو الآباء ، وليس المدرسين ، إذا لمسوا موهبة عند أطفالهم أن يساعدوهم على إظهارها . . ولا وسيلة لذلك إلا بالعمل والتدريب والتفرغ والإخلاص . . فقد تضاءلت العبقرية فى زماننا . والسبب هو أن الموهبة مضت دون أن يدرى بها أحد . . فالموهبة مثل ذهب فى منجم . فالذهب يحتاج إلى أن نتقله إلى المعامل . . إلى النار والصقل . . أى إلى العمل والممارسة والاستمرار . . لأن ظهور عبقرى ليس حدثا عابرا ، بل علامة من علامات الطريق إلى تطوير المجتمع والسمو بالقيم الرفيعة . .

أما الدولة فواجبها أن تعطى الفرص المتساوية لمن يستحقها ولمن لايستحقها . . لأن أحدا لايعرف أين تكمن الموهبة . . الآباء يعرفون . . أو يجب أن يعرفوا . . فليس أعظم ولا أروع من اكتشاف موهوب يصير عبقريا !

وهذا هو الرد الحاسم على المشتغلين بالتعليم والتربية ورجال السياسة الذين يتلفتون حولهم فلا يجدون عباقرة . . إن الدول العظمى تشكو من فقر شديد فى هذا الطراز الفريد من المبدعين فى العلوم والفنون والآداب !

مزعجان ..

اثنان قررا إزعاج الناس فى مصر والعالم العربى : فى مصر مفيد فوزى وبرنامجه (حديث المدينة) وهو بالفعل حديث المدينة قبل وبعد إذاعته . . وهو كمسيحى شديد الإيمان يدق جرسا يقض به مضاجع العقول النائمة . إنه يقلق ويصدم ويثير . . وهو شخصيا حديث المدينة وليس برنامجه . وقد تدرب مفيد فوزى ثلاثين عاما على هذا النوع التليفزيونى من رجرجة الناس . وأينما يذهب يلتفت إليه الناس ، ويسألونه عن الذى قال والذى لم يشأ أن يقول ـ منتهى النجاح !

والثانى عماد الدين أديب الصحفى الذى يملك مؤسسة صحفية . . وهو إنسان مخلص فى عمله حتى المرض . . كلما رأيته قلت له : أنت تذكرنى بمصطفى أمين وعلى أمين . . فهو ضخم الجسم والرأس . . وهو لايكف عن العمل . وعنده أفكار ثورية . . ثم اتجه أخيرا إلى التليفزيون ، وله برنامج (على الهوا) فى شبكة التليفزيون (أوربيت) . . إن حريته بلا حدود . . لأنه يثير قضايا يستحيل النطق ببعض حروفها فى عالمنا العربى . . والتليفونات والفاكسات تلاحقه فى هذا البرنامج . . يلعنون يشتمون ،

يستنكرون ، ولكنهم يتفرجون وينتظرون . . وشعاره هو : أن أكون مثيرا مزعجا . أتعرض لقضايا العصر فتتحول إلى صفعات وركلات . .

أما برنامج مفيد فوزى ، فهو يؤكد الحرية التى يتمتع بها صاحب البرنامج . . وهذه الحرية من نصيبه لأنه جاد . . ولأن القضايا جادة . . فهو النائب العام وهو القاضى وهو الريحانى وهو أبونا الذى يدشدش أدمغة الناس . . أما حرية عماد الدين أديب ، فهو حريته هو . . فلا أحد يعرف مكانه وموطنه . . ولا أحد يستطيع أن يقول له : بم . . إنه يتحدث فى تليفزيون قطاع خاص . . فلا هو إيطالى ولا هو أمريكانى وإنما هو تليفزيون حر مائة فى المائة . . وفى كل هذه الحرية وبسببها وحبا فيها تظهر الإعلانات الغالية الثمن ، والتى تنفق على التليفزيون والعاملين فيه ، وتضع الملايين فى جيوب أصحابه .

ورغم أنه عمل تجارى بحت ، فهو لا يخلو من الفائدة الثقافية . . أو من التنوير والتحرير . . فالذى لاتستطيع أن تقوم به بعض الهيئات يستطيع أن يقوم به اثنان أو ثلاثة أو عشرة من البارعين فى فن الحوار !

صرخة احتجاج

هل نحن فى الزمن الخطأ ؟ يعنى إيه ؟ الزمن لايوصف لا بالصواب ولا بالخطأ . . فأن تكون الساعة السابعة ، لا هو خطأ ولا صواب ولا خير ولا شر تماما كما أن ٢ + ٢ = ٤ . . فليس الخطأ فى الزمن . وإنما فينا نحن . وإذا كان الواحد فاشلا ، فليس الزمن . وإن كان ناجحا فليس القدر . . وإن عاش وإن مات وإن عدل وإن ظلم وإن قتل فليس الزمن .

وإذا كنا نقول : إنه الزمن الردىء فالمعنى أننا نحن قد أخطأنا أو عجزنا عن التوافق مع الآخرين . .

والشاعر القديم قال والحق معه :

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا

ونقول : كان يجب أن نولد قبل ذلك ، أو بعد ذلك . أى أن هذا الوقت لايناسبنا . . والأصح أن نقول إننا لانناسب هذا الوقت . ولكن مادمنا أعجز من الظروف وأضعف من كل الناس ، فإما أن نتوافق وإما أن نموت . . فنحن مثل زورق فى ماء . . على الماء يطفو وبالماء يتحرك وضد الماء ولايغرقه إلا الماء أيضا . . ولا حركة لعصفور إلا بالهواء . . تحته وفوقه وضده . .

وإلقاء اللوم على الظروف كلها ليس حلا ، ولكنه هرب من الحل . . واتهام كل الناس إلا أنفسنا . إنها بداية قضية موضوعها : أن الإنسان يتحلل من المسئولية ويلقى بها على الآخرين . . فنحن السبب . .

أما هو فلا حيلة ولا قوة ولا مقاومة ولا تفكير ولا تدبير . . وليس هذا حلا . وإنما هو هرب من المشكلة التى يجب أن يكون لها حل . . بعض الحل .

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية عندما انتعشت الفلسفة الوجودية وضعت كل الدنيا فوق دماغ الفرد . . وقالت له : شبيك لبيك عبدك بين إيديك ماذا تريد وماذا تقرر .

وهى مشكلة لأن الذى يريد أن يدبر كان قبل ذلك عبدا لهتلر وموسولينى وستالين لاقرر ولا دبر ولا حكم ولا ظلم ولا عدل . . إنه شىء ، أداة والفلسفة الوجودية وضعت على رأس الفرد وفى يده السيف وقالت له : احكم لك أو عليك . . فأنت الحاكم المحكوم . . أنت المحكوم عليك بالحرية .

ولقد اختارت له عذاب الحرية ورفضت عذاب العبيد . . قالت له أن يكون الإنسان عصفورا حرا خير ألف مرة من أن يكون نسرا سجينا !

لقد كانت الفلسفة الوجودية صرخة احتجاج على الذين طردوا الإنسان من إنسانيته . . أى من حريته . . أى من الذين قرروا له ألا يقرر وألا يختار . . أراحوه من إنسانيته . . فأعادت له الفلسفة الوجودية عذاب الحرية والقلق عليها . . فكل زمن هو زمانه ، وكل لحظة هى اختياره وكل دنيا هى دنياه وآخرته ـ فهل هذا ما ينقص الناس هنا وهناك ؟ !

لعل التعب !

مكسوف والله من الأخطاء الكثيرة التى تقع فى مقالاتى وكتبى . . فى الإملاء والنحو والصرف والمعلومات . . ولكن الاعتذار ضرورى . حتى لا يظن القارئ لحظة واحدة أن الأمر لايعنينى أن يفهم أو لا يفهم . . يغضب أو يرضى ـ فأنا آسف .

وإن كنت لا أعرف إن كانت رياح الخماسين قد هبت فى أوانها وفى غير أوانها ، على هذا المكان تكنس النقط فوق وتحت الحروف وتكومها على شكل علامتى استفهام وتعجب ؟!

أو هو زلزال يؤدى إلى تشقق الكلمات والسطور طولا وعرضا ، فيروح اسم (إن) فى خبر (كان) .

أو كأن حرامى دخل شقة فى أثناء نوم أصحابها فراح يعبث فى غيظ فى كل مكان بحثا عن شىء ثمين . . فلما لم يجد شيئا راح يطوح بكل ما فى البيت فى كل اتجاه . . واكتفى بهذا العقاب لأصحاب البيت الذين لم يمكنوه من سرقة شىء . .

ومرة أقول : إنه الإرهاق ـ إرهاق زملائنا الذى يحول ما أكتبه إلى الكائنات الميكروبية التى هى حروف هذا المقال . . ومرة أقول :

إنها ضآلة حجم الحروف التى تبدو للعين الكليلة متشابهة . . ومع السرعة وضيق الوقت والصدر لابد أن تتعثر الحروف فى الكلمات والكلمات فى السطور وتقف كلها فى الحلق ـ واللعنة طبعا على الكاتب ؟! ولا لوم على القارئ . . فالقارئ زبون ، والزبون على حق دائما !

وعندما أتلفت إلى يدى ، فإننى أجد أصابعى قد ضاعت فى كفى . . تلاشت . . ذابت . . فلا أجد ما أشير به إلى المتهم الحقيقى . . أو المتهمين . . ولست على يقين من هو المسئول فعلا وحقا وصدقا عن مثل هذه الأخطاء التى لن تنتهى والتى أصبحت كالمطبات فى الشوارع وكالتلوث فى الماء والهواء والنمش فى الوجه . . فهى من طبيعة الأشياء . وليست هذه هى الأخطاء الوحيدة فى الصحيفة كلها ولا فى كل الصحف . . وسوف تتكرر كثيرة وكثيرا . .

ولكن هذا لايمنعنى أن أعبر عن أسفى وعن عجزى عن فعل شىء ولن أستطيع إلا إذا استطاع أحد أن يجعل ماء النيل مثل ينابيع إفيان ، والهواء مثل الأوكسجين فى أنابيب غرف الإنعاش !

أرق وعرق !

هات خطب الرؤساء مبارك والسادات وعبد الناصر ومحمد نجيب التى تتحدث عن (النظام والعمل) ، سوف تجد فيها موضوعات متشابهة . هذه الموضوعات تقال بأشكال مختلفة . وسوف نجد فيها عرضا لأحوال مصر والعالم . وأهم ما سوف نجد أنهم يطالبوننا بمزيد من العمل . ثم يطالبوننا بتجويد العمل . لأن العمل لايكفى . وإجادة العمل لاتكفى . وإنما لا بد أن نعمل من أجل أن نتفوق على أنفسنا وأن ننافس غيرنا . . وإلا ظلت السلع المصرية للمصريين يأكلونها ويشربونها ويلبسونها ، ويظلون عاجزين عن بيعها خارج مصر . . وخارج مصر توجد المنافسات العالمية الجبارة والقاتلة أيضا لكل من ليس عملاقا .

ومن الصعب أن نصبح عمالقة ما بين خطبة وخطبة . . فلم يستطع ذلك أحد : لا أمريكا ولا ألمانيا ولا اليابان ولا النمور الآسيوية التى كانت قططا نائمة إلى جوار حائط الكسل العظيم واللامبالاة . . ولكن من الممكن أن نتعلق فى بعض السلع . وكل يوم تعلن بعض الشركات المصرية أنها حصلت على شهادة الجودة العالمية . ومبروك علينا . ولكن فينا ـ نحن المصريين ـ عيب . وهو أننا غير قادرين على الاستمرار الطويل . . فكثيرون بدءوا بقوة وماتوا بعد البداية . . وكثيرون بدءوا ببطء

ثم انطلقوا وتفوقوا بعد ذلك . . ومن القصص التى يتعلمها الأطفال أن الأرنب والسلحفاة اشتركا فى سباق .

وسبقت السلحفاة . لأنها بدأت ومضت واستمرت وصبرت أما الأرنب فبسبب غروره راح يلعب ويلهو فسبقته السلحفاة !

والذى يقال للدولة يقال للمؤسسات والمعاهد وللأفراد أيضا . .

ومن المدهش لنا أن نجد الرئيس كلينتون يتهم الشعب الأمريكى بالكسل ، لأن اليابانيين أكثر نشاطا وإبداعا ومنتجاتهم أسبق إلى إغراق الأسواق الأمريكية . . وإن المستشار الألمانى كول يعيب على الألمان أنهم أقل إبداعا من السويسريين . وأن رجال التربية والتعليم فى بريطانيا يخافون على بلادهم من ارتفاع نسبة (التزويغ) فى المدارس . . لأن التلميذ الذى (يزوغ) هو الموظف الذى سوف يزوغ أيضا . . وهو الأستاذ والمهندس والطبيب . . ولايمكن أن تتفوق بريطانيا إذا بدأ أطفالها وشبابها يهربون من المدرسة !

ومن مظاهر الأبهة عند الدول الكبرى أن تنشر فى مجلاتها العلمية كل أسبوع ما الذى أبدعه المهندسون الشبان وما الذى تقدم به الأطباء الشبان ومنذ أيام نشرت إحدى الصحف البريطانية المحترمة أن مقاييس الذكاء وحدة تقدم الأمم . . فالذكاء عند الأطفال قد ارتفع ، ولكن علم النفس يقول لنا : إنه ليس بالذكاء وحده تتقدم الأمم ، فالذكاء ليس من الصفات العبقرية . . إنها صفة متواضعة نجدها عند الحيوان أيضا . . ولكن التقدم له معادلة بسيطة هى :

العمل + العرق + الأرق + الصبر + التضحية = التفوق .

تفسيرات جديدة

كل القصص التى جاءت فى الكتب المقدسة لها تفسيرات فلكية حديثة . . فبدلا من أن تذهب إلى كتب التفسير يمكن أن تلعب بأصابعك فى الكمبيوتر ليطالعك المعنى الجديد لها . . ابتداء من خلق آدم ـ عليه السلام ـ وأصله الإغريقى . وآدم كلمة عبرية معناها الأرض الحمراء . ويقال بل من (أديم) الأرض . . وكان أديم الأرض أحمر اللون .

وكذلك قصة امرأة لوط التى تحولت إلى كتلة من الملح بسبب انفجار جاء عقب ارتطام سفينة فضاء زلزلت المنطقة وأغرقت وأحرقت بعض المدن فى ذلك الوقت مثل مدينتى سودوم وعمورة .

وأخيرا ظهر عالم جيولوجى نمساوى اسمه الأستاذ الكسندر تولمان . يقول الأستاذ تولمان : إن الطوفان الذى أغرق الأرض قد جاء نتيجة تساقط بقايا نيازك . . هذه البقايا وقعت فى المحيطات فأغرقت الأرض إلى قمم الجبال . وهذه النيازك جاءت من كوكب المشترى . . وظلت تتطوح فى المسافة التى هى ٦٠٠ مليون كيلو متر ، ودخلت الغلاف الأرضى ، بعد أن مزقت طبقة الأوزون وبعد أن ملأت الجو إشعاعا نوويا .

وعنده أدلة على ذلك من وجـــود مـــادة (الكربون ـ ١٤) الإشعاعية فى كثير من الحفريات النباتية والحيوانية . . وأن ذلك قد حدث من ١٢ ألف سنة .

وكما رأينا سقوط مذنب (شوماكر ـ ليفى) على كوكب المشترى نفسه ، فلابد أن مذنبات ونيازك أخرى قد سقط بعضها على كوكب المشترى ، والباقى تشرد فى الفضاء ، أو ابتلعته جاذبية الشمس أو نجوم أخرى أو كوكب الأرض . .

ومن المعلوم أن مذنبا ضخما قد سقط على الأرض من ٦٠ مليون سنة فاجتاحت النيران كوكب الأرض فقضت على الديناصورات ، وكثيرا من الحيوانات الكبيرة والصغيرة والحشرات والنباتات . . ويرى الأستاذ تولمان أن آخر هذه النيازك أو الأحجار الضالة فى الكون ـ والتى لابد أن تعود إلى الأرض بعد ألف سنة هو الذى سقط فى سيبيريا سنة ١٩٠٨ وأحرق مائة كيلو متر مربع من الغابات وأضاء سماء أوروبا شهورا ـ وهناك رأى آخر بأن الذى سقط على سيبريا هو أحد الثقوب السوداء . . وأن هذا الثقب فى حجم حبة الترمس ، وأنه اخترق الكرة الأرضية وخرج من الناحية الأخرى ، وأن وزن هذا الثقب شديد الكثافة لدرجة أنه يزن ملايين الأطنان !

ويحدد الأستاذ تولمان طوفان نوح بأنه وقع بالضبط سنة ٩٦٠٠ قبل الميلاد ـ والله أعلم .

لن تموت !

غلطان جدا من يقول : إن روسيا ماتت أو فى الطريق . فروسيا لديها كل عناصر القوة ولديها التاريخ المجيد . وفيها علماء من كل لون . فالناس فقط يعطسون ويختنقون بسبب تراب الانهيار الذى أصاب الشيوعية وفرض عليهم أفكارا لم يعرفوها وتجربة لم يمارسوها وأحلاما كانت مستحيلة فأصبحت قريبة جدا . . وعاشت سبعين عاما محكومة بحديد السجون ونار اللجان . . واليوم لا قانون ولا حزب وإنما عصابات التجارة والدعارة والمخدرات . . ولن تموت !

وكلما قرأت عن ضرب روسيا للشيشان أحزننى ذلك . . فالشيشان شعب حر نبيل يريد أن يعيش كريما . وشعب مسلم يقاوم شعبا ملحدا .

وكلما قرأت عن علماء روس فى سفن الفضاء الأمريكية . . أو فى المعامل والمصانع الأوروبية أسعدنى ذلك . فنحن لا نريد أن تنفرد بنا أمريكا تبيع وتشترى .

إننا نريد قوة أخرى . . لتكن روسيا أو أوروبا أو الصين . . لا أمريكا وحدها .

وليس صحيحا أن الرئيس يلتسين الذى هو سيد البيت الأبيض بموسكو يعمل سفرجيا فى البيت الأبيض بواشنطن لأنه

يعترض ويستنكر ويظهر عليه الغضب ويساوم هو أيضا ويريد مثل كلينتون وبيريز أن ينجح فى الانتخابات القادمة . لا أن يكون طرطورا أمريكيا ولا أن يكون أراجوزا أوروبيا ولا (تفاريش) سوفيتيا أى رفيقا شيوعيا . . وإنما بأن يظل روسيا يحاول أن يعيد إلى روسيا مجدها . . وامبراطوريتها دولة بعد دولة . .

ومنذ أيام ارتعدت لندن وواشنطن وباريس . . فقد رصدت الأقمار الأمريكية جيلا جديدا من الغواصات السوفيتية النووية انطلقت لأول مرة من موانيها السرية على حدود النرويج . . غواصات من طراز (أكولا) وزنها ١٥ ألف طن مزودة بعشرين صاروخا نوويا . وكانت الغواصات الروسية القديمة لها ضوضاء تحت الماء يمكن رصدها بسهولة . . أما الجيل الجديد فهو يطلق (ظلالا صوتية) تعترض الرادار الأمريكى وتضلله . .

ولذلك قررت أمريكا وبريطانيا وفرنسا تغيير كل الخطط الدفاعية . . فقد ظهر خطر مفاجئ . فهذه الدول قد أوقفت صناعة الغواصات . . بينما حرص الرئيس يلتسين على إرضاء الصقور فى القوات المسلحة الروسية وذلك بالمضى فى بناء سلاح للغواصات أقوى من كل غواصات الغرب معا .

وفى عالم الفضاء لايزال لدى روسيا الجديد الذى تستطيع أن تنفذه متى تيسرت لها الفلوس . وإن كانت تبيع لأمريكا بعض تجاربها وإبداعاتها . .

فلم يتحول الدب الروسى إلى بقر إنجليزى . . فالدب له مخالب من سوء الظن بالغرب وعيون من الفكر الفلسفى والإبداع العلمى ـ ويسعدنى ذلك !

كون آخر!

مؤسسة الفضاء الأوروبية اسمها (إيسا) ومؤسسة الفضاء الأمريكية اسمها (ناسا) . والمنافسة حادة بين إيسا وناسا . .

ومؤسسة (إيسا) سوف تبدأ فى هذا الأسبوع واحدا من مشاريعها الخمسة التى فى غاية الطموح . يكفى أن هذه المشاريع الفضائية يؤيدها علماء جامعتى أكسفورد وكمبردج عظيمتى الاحترام . .

فسوف تطلق مؤسسة (إيسا) قمرا يدرس القمر بصورة جديدة لم يسبق لها مثيل . سوف يقترب ويبتعد من القمر ويثبت فوق الجانب المظلم من القمر شهورا . .

وعند مؤسسة (إيسا) نظريات جديدة فى الجاذبية الكونية تريد أن تختبرها . وأساس هذه النظرية أن فى الكون مادة سوداء . فهل هذه المادة السوداء هى التى تجذب ملايين النجوم تفرملها من الانطلاق بعيدا والتمدد . . ولولا هذه الجاذبية لتطوحت النجوم والسدم والطرق اللبنية إلى أبعد من مواقعها ألوف ملايين الأميال . . وهل هذه المادة السوداء بجاذبيتها الجبارة هى التى سوف تمسك الكون كله فيعود بعضه إلى بعضه . . وكما أن الكون قد بدأ

بالانفجار العظيم ، فسوف يرتد إلى التماسك العظيم أو الانكماش العظيم ـ فيعود كما بدأ مادة متعاظمة الكثافة صغيرة صغيرة صغيرة فى حجم سمسمة تزن ألوف ملايين ملايين الأطنان !

أما أعظم طموحات هيئة (إيسا) فهى دراستها للاهتزازات والضوضاء الموجودة فى النجوم فمن المعروف أن أشد النجوم اهتزازا ودويا هى الشمس . . فالشمس لها صوت أجراس جبارة فى مهب العواصف . وهى شديدة الاهتزاز . وسوف تطلق هيئة (إيسا) قمرا يسجل الاهتزازات الموجودة فى النجوم النائية . . والعلماء يريدون أن يعرفوا إن كان (الوميض) أو الارتعاش الضوئى لهذه النجوم سببه اهتزازها العنيف . . أو سببه دوران من كواكب مثل الأرض حولها .

وعند العلماء لغز الألغاز وقد حيرهم أكثر من أى لغز له علاقة بنشأة الكون . . إنهم يدرسون نظرية (تجاعيد الزمن) . . فقد عثر بعض علماء الفلك على نجوم أقدم من الكون نفسه ؟! فكيف يمكن أن يكون من بين أبنائك من هو أكبر سنا منك ؟!

(أرجو قراءة صحيفة الأوبزرفر البريطانية بتاريخ ٢١ أبريل الحالى) . فإن صح ، كان معنى ذلك أن هذه النجوم القديمة هى بقايا كون آخر غير الكون الذى نعرفه !

فإذا وجد العلماء تفسيرا مقنعا فسوف يكون أعظم مكافأة للعلماء الإنجليز والإيطاليين والفرنسيين لقاء عذابهم ودوختهم التى استغرقت عشرين عاما !

كن مستعدًا !

أجمل شباب العالم يستعدون للدورة الأوليمبية فى أتلانتا عاصمة ولاية جورجيا ـ فيما بين ١٩ يوليو و٤ أغسطس . سوف يشترك فى هذه الدورة أكثر من ثلاثين ألف لاعب ، ويسبق اللاعبين ويأتى معهم وبعدهم حوالى ثلاثة ملايين متفرج . . وأربعون رئيس دولة والاستعداد الأكبر هو من أجل سلامة وسمعة أمريكا . ولذلك يرأس آل جور نائب رئيس الجمهورية جيشا من ١٥ ألفا من رجال الشرطة والمباحث والمخابرات وسوف تستعين أمريكا بمثل هذا العدد من قوات الجيش . والدستور يمنع استخدام الجيش فى حفظ النظام . ولذلك سوف تطلب وزارة العدل والبيت الأبيض موافقة الكونجرس بسبب الظروف الرهيبة التى تمر بها أمريكا والعالم كله . وحتى لايتكرر ما حدث فى مدينة أوكلاهوما سنة ١٩٩٥ وقبلها فى المركز التجارى سنة ١٩٩٣ . . أو ما حدث فى دورة ميونخ . . وليس الخوف من السلاح التقليدى الذى استخدمه الإرهابيون . وإنما الأسلحة الأخرى : الغازات السامة والسموم والميكروبات . والعالم لم ينس ما حدث لمحطات المترو فى اليابان فقد استخدمت أنواع نادرة من الغازات ولأسباب دينية؟! وقد قامت أجهزة الأمن الأمريكية بمسح شامل لكل سكان مدينة

أتلانتا . . وعرفت مقدما من الذى سوف يحضر هذه الدورة الأوليمبية من الأقارب والأصدقاء وصورهم وطبيعة عملهم . . كما مسحت أجهزة الأمن كل شبر فى الشوارع المفضية إلى أماكن الألعاب وكل الأبواب والنوافذ وأنابيب المياه والغازات . وأماكن وقوف السيارات تحت الأرض وفوقها . . وأعادت انتشار رجال الأمن فى المدينة . . ونقلت السجناء إلى أماكن أخرى . . وأوقفت كل أعمال الحفر والتنقيب ولحام الأوكسجين . . واستبعدت لعب الأطفال من كل لون وحجم . . وأوقفت كل مدن الملاهى . . وسوف تغلق جميع الملاعب الرياضية والمصانع والمعامل فى المناطق القريبة . . وقد رصدت وزارة الدفاع خمسين مليون دولار وولاية جورجيا رصدت ٣٠ مليونا لأمن الجميع . . وقد أعلن نائب رئيس الجمهورية أن المعلومات التى لدى أجهزة الأمن تؤكد أنها لا تتوقع أى عمل إرهابى من أى نوع . ولكن هذه الأجهزة هى الأكثر تشكيكا فى مثل هذه المعلومات . . فهى ترى (الاحتياط) ضرورة حياة . . وأنها لا تثق فى مثل هذه المعلومات المتفائلة . . فلا أحد يعرف بالضبط ماذا يدور فى رءوس الناس . . من يستطيع أن يعرف أن واحدا من المشاة الذين يلعقون الآيس كريم قد قرر اغتيال الرئيس الفلانى . . لا أحد ! ولذلك فلا ثقة فى أية معلومات تجىء من أية جهة . وشعار أجهزة الأمن هو شعار الكشافة : كن مستعدا !

اللامبالاة ..

سيادة الكاتب . . أشكو بما أعانيه من مصر بصفة خاصة . فأنا بحكم عملى أكتب الكثير من الرسائل التجارية والشخصية . وبرغم أهمية هذه الرسائل وطلب الإجابة عنها فإن الرد عليها أصبح معدوما ـ ولن أذكر أسماء البيوت التجارية والمحامين الذين أتعامل معهم . . ولقد اتبعت أسلوبا لكى أجعل الرد سهلا وهو أن أرفق مع الرسالة مظروفا بالعنوان وطابع البريد المصرى . وبالرغم من ذلك فلا رد يجىء ! وهنا فى السويد عندما تبعث برسالة لأية جهة حكومية أو شخصية فإن الرد عليها لايتجاوز ٢٤ ساعة لتصلك الإجابة . وهذا يدل على احترام الناس لك . وقد كتبت مرة لوزير سويدى أسأله عن موضوع خاص وسرعان ما جاءنى الرد مدعما بالقرارات والنشرات . هذه هى الحضارة يا سيدى !

وقد تعلمت فى مصر بالليسيه الفرنسية على أساتذة أجانب . فأول الدروس أن التجارة عرف وأمانة ودقة فى المواعيد والرد على الرسائل بكل البيانات المفيدة . أرجو اهتمامكم .

حسين الراعى

مستشار تجارى ـ استكهولم

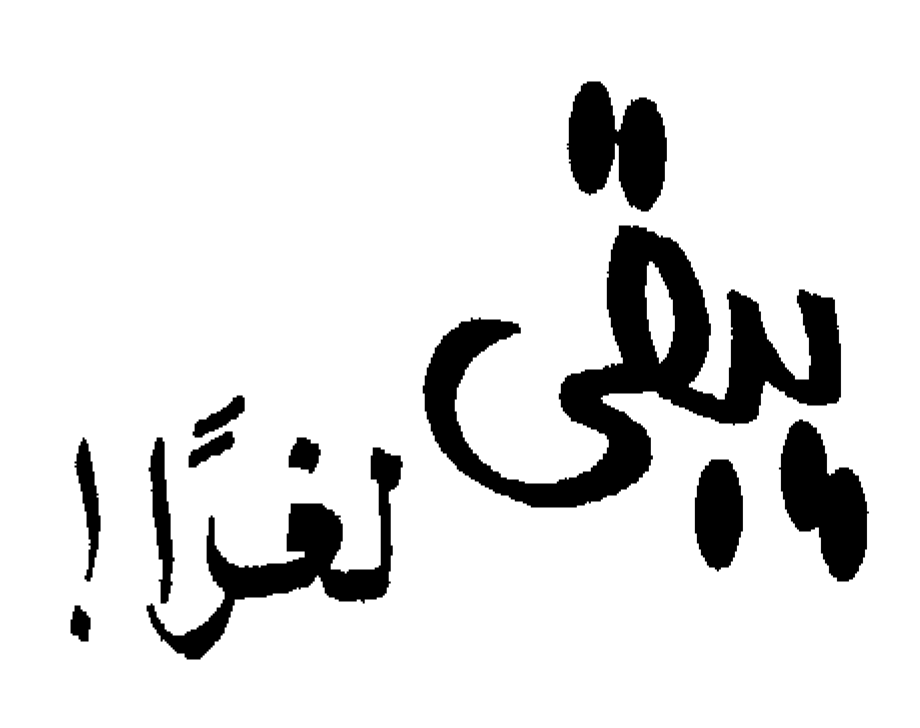
وإذا تلقينا تهنئة أو تعزية أو تحية ودية ، فلا رد على ذلك من أى واحد منا . قليلون جدا من يقومون بالواجب . ولو نظرت إلى

أصدقائك وأقاربك فسوف تجد واحدا أو اثنين لا يفوتهما أن يشدا على يديك أو يكون لهما حضور تليفونى أو بريدى فى كل المناسبات الاجتماعية . .

وحتى عندما تفكر فى الرد فإن الرد يكون كأنه ليس ردا بل إهانة لأن الرد يجىء على ورق ردىء أو خط نكش فراخ . . وقد يكون طويلا جدا يصعب عليك أن تقرأه فى زحمة عملك اليومى . .

أما الذى أتمنى ألا يرد فهى الهيئات القضائية . لأن الرد أو الطلب عبارة عن قطعة ورق . . لا شكل لها ولا لون . . أما الخط فمن الصعب أن تعرف ما هو المطلوب أو من الذى يتحدث إليك . . وفى مثل هذه الحالات أبعث بأوراق البردى هذه إلى محامينا الكبير أحمد شنن . . الذى يقوم صابرا ساخرا بدور شامبليون الذى فك طلاسم حجر رشيد . . ويرد عليك ساعتها أو فى اليوم التالى بأن فلانا القاضى يريد أن يجتلى طلعتك البهية فى المحكمة . . كل ذلك على ورقة مكرمشة هلامية الحروف ملقاة إلى جوار الحائط ـ لأن هذا هو المكان الذى اختاره الموظف الذى بعثوا به . . ولم يفلح أحد فى إقناع أحد بأن يجعل الورقة أكبر أو يضعها فى مظروف أو يكون خطها واضحا ـ إنها هكذا . . كانت وسوف تبقى !!

ما اسم هذا كله ؟ اسمه اللامبالاة . . الاستخفاف . . اضرب دماغك فى الحيط . . أما الحضارة التى تتحدث عنها ياسيدى فهى حضارة أجداد أجدادنا . . وهم أناس أقاموا فى هذه المنطقة التى عليها نعيش واختفوا تاركين وراءهم معالم جريمتهم العظمى : الأهرامات وأبو الهول وأبو سمبل .



من أجل معرفة الحقيقة لرجل عظيم مات ، فإنه يتعرض لكل أنواع الاختبارات الإشعاعية والتشريحية . . كم مرة حللوا شعر نابليون . . كم مرة أخرجوا الشاعر العظيم شيكسبير من مقبرته ليعرفوا كيف مات . . وما اسم المرض الذى أصابه . . وهل هو شيكسبير أو هو واحد آخر دفنوه فى مقبرته . . وهل المدفون رجل أو امرأة . . وهل كان شيكسبير رجلا شاذا . . أو لم يكن رجلا . كل هذا لماذا ؟ لأنه شيكسبير العبقرى ، ولأن كل ما يتعلق بأظافر أصابع قدميه يهم الأدمغة الإنسانية التى تبحث عن حقيقة العظمة والعبقرية . .

أما إن كان شيكسبير هو الذى نظم مسرحياته الرائعة ، أو هو عبقرى آخر معاصر له ، فالكلام كثير . والنظريات والخرافات . . وكل يوم يظهر عالم أمريكى أو فرنسى له نظرية جديدة . . والإنجليز ليسوا أقل رغبة فى أن يعرفوا . . ولذلك يعيدون فتح قبر شيكسبير وتتسلل الأشعة من كل طول ولون . . ويخرج العلماء باجتهادات آخرها أن عالما ألمانيا قد اهتدى إلى المرض الذى أنهى حياة العبقرى قبل الأوان . فما مرضه ؟ كانت إحدى عينى شيكسبير

دائمة الدمع . . وكان المنديل فى يده دائما . . وكان كثير التحدث عن الحب الأعمى والحظ الأعمى والقدر الأعمى . . والسبب هو إحساسه دائما بأنه لم يعد يرى بإحدى عينيه . .

ويقال : إنه فى آخر أيامه أصيب بالعمى التام . . لماذا ؟ فلم يعرف أحد . . حتى جاء هذا العالم الألمانى الذى اكتشف أن الغدة الدمعية لإحدى عينيه قد انسدت . وأن الانسداد كان بسبب كيس دهنى صغير . هذا الكيس الدهنى هو سرطان أصاب العين حتى أغلقها تماما . . بل إن شيكسبير مات بالسرطان سنة ١٦١٦ عن ٥٢ عاما !

وكانت هناك نظرية ماتت تقول : إن شيكسبير شخص خرافى . مثل هوميروس . وأن هذه المسرحيات العظيمة التى ظهرت باسمه ليست إلا من عمل عدد من الشعراء !

أصحاب هذه النظرية موجودون فى كل عصر . . وهم يظهرون فجأة لكى يخمدوا كل نار ونور فى تاريخ النهضة الفكرية والأدبية لبلادهم . فهى ظاهرة مرضية . تعالجها الشعوب وتجتازهم . ثم تسخر منها بعد ذلك !

أما الكلام عن رجولة شيكسبير أو أنوثته فهى قضية . ولكن ليست القضية المهمة وهى لعبقرية الشاعر الإنجليزى . فهل هذا آخر كلام عن الشاعر الكبير ؟ سوف يبقى شيكسبير وغيره من العظماء مشعلا لخيال وأحلام وأوهام الناس . . لأنه العظيم الذى تتجدد عظمته فى كل ضوء وضباب جديد !

مفيش بقشيش!

طبيعى أن يكون د . محمد نبيل عوض صاحب القرى السياحية مندهشا فى غيظ وحزن على الذى أصابنا ويصيبنا كل يوم بسبب ما تنشره الصحف الأجنبية عن مصر . والسبب سلوكيات الناس الذين يتعاملون مع السياح ابتداء من (تراجمة) الهرم حتى سائق التاكسى والجرسون فى المطاعم والفنادق الكبرى . كلهم يطلبون وينتظرون (البقشيش) . . ولايردون ما تبقى من الحساب . فهؤلاء المصريون عندهم يقين كاذب بأن هؤلاء السياح جميعا من أصحاب الملايين السذج . . وأنهم لايفهمون الفرق بين الذهب الخالص والذهب المغشوش والفضة والنحاس . . لايعرفون جدول الضرب . . وأنهم جاءوا بفلوسهم التى كسبوها من الهواء فى بلادهم ليلقوا بها فى أرض مصر !

وقد قرأت القصاصات الصحفية التى بعث بها د . نبيل عوض وكلها تغمز وتلمز وتقول ولاتقول وتستنكر ـ مثلنا تماما ـ هذه السلوكيات الفاضحة والفادحة الثمن أيضا . . والتى تبهدل صورة مصر وتطفش السياح الأجانب . . ولولا أن هؤلاء السياح مثقفون جدا ، متحضرون جدا ، ما شربوا المر من أجل عينى أبى الهول

وسمرة نفرتارى النوبية وطلاسم الهرم الأكبر وكنوز المتحف المصرى والقلعة والعمارة الإسلامية والقبطية . .

هذا ما يتعلق بالرجال السياح ، أما النساء فلهن قصة أخرى . . فكثير من الذين لهم صلة بالسياح يعتقدون أن السائحات مغامرات جئن إلى مصر من أجل الحب . . وسواد عيوننا وفحولتنا إلخ ولذلك فهؤلاء الناس فى غاية الجرأة والوقاحة أيضا . فليست كل سائحة غانية . . وهذه غلطة بعض السياح العرب عندما ينظرون إلى المصريات !

فما الحل ـ هذا هو السؤال ؟

لقد كان الأديب الفرنسى كوكتو يقول : إن فى مصر ثلاث كلمات لا حل لها : مفيش . . بقشيش . . حشيش . .

أما الحشيش ففى كل الدنيا . . أما كلمة مفيش فهى : مفيش فايدة . . ومفيش حل . . ومفيش أمل . . والكلمة لاتزال تتعاظم وتتكاثر بينما فى الغرب يقولون : مفيش مشكلة . . وفعلا لا تكون هناك مشكلة . فعندهم حلول لكل مشكلة . .

أما (البقشيش) فموجود ومطلوب فى كل الدنيا ، وكذلك العمولات . . ولكن بذوق وبأدب ولاينقصنا أن نجد ألف مناسبة للبقشيش ولكن ينقصنا الأدب فى انتظاره أو فى طلبه .

ومادمنا قد وصلنا لآداب المعاملة ، فهى لاتجىء بقرار . . وإنما بتربية وتعليم شامل فى البيت وأمام البيت وفى المدرسة ـ وهى تحتاج إلى عشرات السنين إذا بدأنا اليوم وهذه اللحظة !

مأساة!

العلماء من كل لون ونوع وسن حريصون على أن يجعلونا نعيش فى حالة مأساة . . أو فى حالة توقع البلاء قبل وقوعه . لقد حاول علماء الذرة فجعلونا نعيش فى خوف نووى ، ثم وجدوا الحل للتخلص من هذا الخوف ـ بأن تتسلح أكبر الدول بالقنابل والصواريخ النووية . وبذلك تعيش الإنسانية شرقا وغربا تحت سقف نووى . . فوق الأمريكان وفوق الروس . . وزرعوا فينا الإيمان بأن أحدا لايريد استخدام هذه الأسلحة ، لأنه إذا استخدمها الطرفان فالموت للجميع .

ولأن أحدا لايريد أن يموت ، فقد وجدوا تسمية أخرى للاستعداد النووى هى : الدرع النووى . . أى أن يتسلح الجميع بالقنابل الذرية يهددون بها ولايستخدمونها . .

وكأن هذا لايكفى فاخترع العلماء حرب النجوم . . أى منصة فضائية تنطلق منها الصواريخ تلاحق أو تصطدم بالرءوس النووية التى يبعث بها الأمريكان إلى روسيا ، والروس إلى أمريكا . .

وكأن هذا أيضا لايكفى ، فظهرت الأمراض الغريبة للإنسان والحيوان . . أمراض جديدة جاءتنا من الفضاء الخارجى على شكل

تراب كونى يحمل ميكروبات تعرضت لتجارب كيماوية لملايين السنين ، وعاشت بعدها لتموت فينا !

وكأن هذا لايكفى ، فبادر علماء الفلك باكتشاف أحجار ضخمة فى الطريق إلينا . . من بينها حجر يعادل مساحة القاهرة الكبرى ، فأرسلوا إليه معملا فضائيا سوف يلتقى به فى يناير سنة ١٩٩٩ ويدور حوله لمدة سنة . . وهذا الحجر الذى اكتشفه العلماء سنة ١٨٠١ اسمه (إيروس ٤٣٣) . . وهو واحد من ملايين الأحجار . . مخلفات أو (ردش) الكون . . أى بقايا عمليات الانفجار الجبارة التى صاحبت خلق هذا الكون من ١٤ ألف مليون سنة . . وفى الكون مالا نهاية له من الأحجار الكبيرة والدبش والنفايات وفتافيت التراب والجليد . . وهى جميعا ضالة ضائعة فى مدارات بعيدة تدور حول النجوم والكواكب وتتساقط وتتوارى وتتلاشى . .

أما الغرض من إطلاق المعمل الفضائى فلكى نعرف أصل مادة الكون ـ وإن كان من المستحيل أن نعرف ذلك لأن هذا الحجر (إيروس ٤٣٣) قد مضى على صعلكته فى الفضاء ألوف ملايين السنين تعرض فيها لكل أنواع الفيزياء والكيمياء والمعادلات الرياضية . وهو أقرب العينات المتاحة للمراصد والمعامل الفضائية . .

وننتهز هذه الفرصة لنشكر علماء الفلك لأنهم فى استغراقهم فى وصف خطورة هذا الحجر عندما يصطدم بالأرض وأهلها ، ويقضى على الجميع ـ إن شاء الله ـ لم ينسوا أن يقولوا لنا : إن هذا الاصطدام بالأرض سوف يقع بعد مائة ألف سنة !

ومصطفى وعلى أمين..

لا بد من زيارة أستاذنا مصطفى أمين من حين إلى حين ، والجلوس إليه والكلام معه .

هذا المكتب الذى يجلس فيه من عشرات السنين . . هو هو . . ومن عادتنا ـ تطبيقا لتعليمات مؤسسة أخبار اليوم ـ أن نفتح باب المكتب دون إذن ـ أى واحد يستطيع ذلك . . فالأبواب مفتوحة لكل من له يدان وقدمان . . تماما مثل أبواب ونوافذ الأمل على مستقبل أفضل وعلى طاقة القدر . .

وكانت دهشتنا عظيمة عندما انتقلنا من العمل فى جريدة (الأهرام) سنة ١٩٥٢ إلى أخبار اليوم ، ففى الأهرام كانت كل الأبواب حوائط من الرخام مسدودة فى وجوهنا . . فهناك حدود وسدود وقيود . وليس كل من هب ودب يقابل رئيس التحرير عزيز ميرزا ، ولا العضو المنتدب مسيو شميل ، ولا صاحب الجريدة بشارة تقلا ، ولا مدير التحرير نجيب كنعان ، ولا الكاتب الأول أحمد الصاوى محمد ، ولا المفكر الأول محمد زكى عبد القادر . فأخبار اليوم هيصة .

وعندما تركنا (الأهرام) مع الصديق الكبير الشاعر الفنان كامل الشناوى نسينا أن نقدم استقالتنا . . فنحن نريد أن نذهب إلى

(أخبار اليوم) مع كامل الشناوى لكى نتفرج على مصطفى أمين وعلى أمين .

وعلى الرغم من أننا ذهبنا إلى (أخبار اليوم) ظللنا نتفرج على التوأم ، داخلين وخارجين . . واحد منهما يصافحك كلما قابلك وهو لايعرفك . إنه مصطفى أمين،أماالذى لايصافحك رغم أنه يعرفك فهو على أمين لماذا ؟ ليس هذا هو السؤال وإنما الإجابة سوف تجىء بعد ذلك . . وجاءت بعد سنوات بأنهما مختلفان .

فلا فرق كبير بين التوأم . . فالذى على لسان على أمين هو الذى أخفاه مصطفى أمين فى تلافيف دماغه ولا يقوله . . وعرفنا الطريقة إلى دهاليز مصطفى أمين : إنه على أمين الذى يثور ويغضب ويضحك مثل كل الناس . أما الذى لانعرف له أولا من آخر فهو مصطفى أمين .

وعلى أمين ومصطفى أمين هما أكبر صاروخين فى تاريخ الصحافة العربية . صاروخان يحملان أقمارا والرءوس الصحفية حول الأرض . . فالفرص متاحة لكل الشبان . . من كل المواهب . . وقد قدمت أخبار اليوم للصحافة عشرات النابهين إنها كانت أكبر مصنع لكشف المواهب وتوليد النجوم . .

مهما ابتعدنا عن أخبار اليوم فهى أمنا مدرستنا وأساتذتنا وطموحنا وعشقنا وأمجادنا . . فزيارة مصطفى أمين ورؤيته والجلوس معه . . إن لم يكن حنينا إلى ماضينا الجميل اللامع اللاسع الواسع فهو امتنان للأستاذ والمدرسة التى أخرجت مئات الأساتذة وألوف التلامذة فى مصر والعالم العربى .

ميلاتونين..

الكلام كثير جدا عن أقراص (ميلاتونين) التى تنتجها شركة «ناترول» الأمريكية . الزجاجة بها ١٢٠ قرصا تنتهى العمل فى نوفمبر ١٩٩٧ . الأقراص تزن ثلاثة ملليجرامات مكونة من فيتامينات أهمها فيتامين (ب ـ ٦) . أما الكلام الكثير فعن أثرها السحرى فى حيوية الإنسان وانفتاح شهيته على الدنيا . . نوم وحب وراحة وسعادة . . فهو ينام مهدودا ويصحو وقد أعيد بناؤه . ويقال : إنه سر الشباب الذى يبدو على وجوه أناس كثيرين . .

سألت د . حسين بهاء الدين وزير التربية والتعليم فقال لى : لم تظهر له أية آثار جانبية منذ سنوات .

وقال لى مهندسون وأطباء . . وكان لابد أن أجرب وجربت . ففى ليلة صحوت بعد ساعة واحدة ولم أفلح فى أن أنام حتى الصباح ـ فقلت : لعل السبب أننى تناولت عشائى متأخرا . وفى اليوم الثانى قررت ألا أتناول العشاء . وبعد ساعة ونصف الساعة تماما صحوت ولم أعرف كيف أنام بعد ذلك . .

وفى اليوم الثالث تناولت طعامى مبكرا جدا . . وبعد ساعة نوم صحوت وفقدت الأمل فى النوم بعد ذلك . . ووجدت أن هذه

الأقراص توقظنى وتقلقنى ـ القلق هنا كلمة غير دقيقة ـ لأن الذى أحسست به هو أننى غير راغب فى النوم . كأننى شبعت نوما . .

لم يبق إلا أن أشك فى صحة هذه الأقراص . فربما كانت مغشوشة . ولكن تأكدت أنها ليست كذلك . . فهى من أوائل الزجاجات التى جاءت إلى مصر . . وقد أخذتها من الصديق السفير السعودى أسعد أبو النصر . . ثم عرضت الزجاجة على أحد الأطباء الأمريكان ، فأكد لى أنها ليست مغشوشة !

سألت الأطباء . اختلفوا . بعضهم سخر من التقاليع الأمريكية . وبعضهم يتوقع آثارها الجانبية بعد عام أو ثلاثة . . وقال لى طبيب : إن هذه الأقراص لاتصلح فى حالتك !

أما حالتى فهى أننى أنام أربع ساعات من أى يوم . ولم أفلح فى أن أجعل الساعات الأربع أربعا وخمس دقائق . . فلست فى حاجة إلى مزيد من النوم فقد اعتاد جسمى وكل وظائفه على ذلك . . فهذه الأقراص لاتستطيع أن تغير هذا النظام الصارم فى جسمى ووظائفه . . انتهى كل شىء عند هذا القدر من النوم . .

وربما كان ذلك أقرب التفسيرات إلى المعقول !



منذ أيام استمعت إلى لقاء فى البرنامج العام عن (الهندسة الوراثية) لم أفهم . ولا استطاع الأستاذ الكبير الذى استعانت به المذيعة أن يكون مفهوما . بل إنه بسخرية لطيفة قد اندهش للمعلومات الخاطئة عند المذيعة التى استضافته . .

والهندسة الوراثية هى علم جديد يقوم على إعادة هندسة العناصر الوراثية . . أى إعادة تنظيمها من أجل (تخليق) حيوانات أو نباتات جديدة . . أو لها صفات مختلفة . هذه الصفات هى التى تتفق مع احتياجاتنا أو مزاجنا . لعبة خطرة ؟ نعم إذا جعلناها لعبة فهى شديدة الخطورة ، ولكن لا نزال نستخدمها لفائدة الإنسان ، فعن طريق إعادة هندسة العوامل الوراثية نجعل الحيوانات أكبر أو أصغر . وكذلك النبات والخضراوات والفاكهة . .

وقد رأيت فى جزيرة تايوان ، وبالقرب من العاصمة تايبيه معامل للهندسة الوراثية . . فقد طلب منهم الأوروبيون ريش أوز أبيض ليصنعوا منه المخدات والمراتب . فما كان من هؤلاء الصينيين إلا أن حولوا الأوز الأسود إلى أوز أبيض . .

ورأيت (السمك النيلى) الذى ليس موجودا فى نيل مصر ، وقد صار أطول وأعرض وأكثر لحما . . أما البطارخ فأضخم . . وفى استطاعتهم أن يجعلوا السمك النيلى أصغر وأثقل وزنا . ولكن لا يرون ذلك ضروريا لأن مصر نفسها لم تطلب منهم أى حجم أو أى لون . . كأننا سعداء بانقراض هذا السمك . وهو لم ينقرض . . ولكن النيل يفرز سموما لقتل الأسماك ـ اذهب إلى وسط وشمال الدلتا ، وأنت ترى الأسماك بالألوف تطفو فى جنازة منقطعة النظير!

وحدثونى ضاحكين عن مشكلة واجهتهم . والذى أضحكهم ليس أنهم حاولوا ونجحوا . . وإنما لأنهم ضحكوا على الجمبرى وعلى اليابانيين . . فكان عندهم جمبرى عجيب الشأن حين يتضاعف بالملايين ، فإنه ينطلق بسرعة هاربا إلى المياه الدولية فى المحيط الهادى . . وفى المياه الدولية يجد ألوف الصيادين اليابانيين يلتقطونه حيا ويعودون به إلى بلادهم . فهم يأكلونه وهو يتلعبط .

أماالصينيون فعن طريق الهندسة الوراثية أفلحوا فى أن يجعلوا ألوف ملايين الجمبرى ينطلق هاربا إلى مسافة كيلو مترا بعيدا عن الشاطئ ، ثم يرتد مسرعا أكثر خوفا ، ويدخل فى شباك الصيادين الصينيين !!

فالكلام عن الهندسة الوراثية لعامة الناس ليس كما قال الأستاذ (الكبير) وليس كما فهمت الإذاعية الكبيرة . . ولكن هناك طرقا أخرى أبسط وأوضح كثيرا !

معبد في مدريد..

سوف تكون الخناقة علنية بين روسيا وألمانيا حول كنز من التحف سرقها الروس من متحف برلين . هذه التحف الذهبية هى بقايا معركة طروادة . وقد عثر عليها عالم أثرى ألمانى اسمه شليمان سنة ١٨٧٣ فى أحد التلال بتركيا . وقبل أن يموت أهداها للحكومة الألمانية .

ويحاول الألمان من سنوات أن يعرفوا أين ذهبت هذه التحف . حتى علموا أخيرا أنها فى روسيا . وأن الروس سوف يعرضونها قريبا فى متحف بوشكن فى موسكو . وقد حاول كول مستشار ألمانيا أن يحصل على كلمة شرف من الرئيس يلتسين . وسمع كلاما كثيرا لا علاقة له بالشرف . وحاول وزير خارجية ألمانيا ومديرو متاحفها . ولكن الروس صامتون . .

ويحاول الألمان أن يقنعوا الروس بأن هذه التحف هى (أسرى حرب) وليست (غنائم حرب) . ولكن الروس يصرون على أنها غنائم ، وأنها أقل تعويض يدفعه الألمان عن عدوانهم على روسيا وخراب المدن والقرى والحقول . ولكن الألمان دفعوا لروسيا ألوف الملايين ثمنا لألمانيا الشرقية وساعدوها بالمال والطعام والأجهزة الحديثة . ولكن الروس على

موقفهم . وسوف يصدر البرلمان الروسى قرارا بأن التحف التى نهبوها من أوروبا الشرقية قد آلت إلى روسيا نهائيا . .

ولو كانت هذه التحف مسروقة من مصر لرجوت الروس أن يحتفظوا بها فسوف تكون أكثر احتراما . . ولو عرضت علينا فرنسا وبريطانيا والنمسا كل التحف الفرعونية لانحنيت أبوس القدم وأبدى الندم على غلطتى فى أن أطلب عودتها إلينا . . أين نضعها ، تحت أى نوع من التراب والهباب فى متحف القاهرة؟! إنها هناك أعظم وأروع . . إن الذى يدخل متحف اللوفر يشعر بعظمة الفراعنة . . والذى يدخل متحف فيينا يضرب «تعظيم سلام» لأجدادنا ولعلماء النمسا . .

آه لو سمع الساحر المشهور دافيد كوبر فيلد كلامى ونقل أهرامات الجيزة وأبو الهول ومعبد نفرتارى وأبو سمبل إلى باريس . . أو إلى أية عاصمة أخرى ، لكان قد أدى لمصر أعظم خدمة فى تاريخها الحديث . . لأن الناس يتفرجون على آثارنا هناك ، ثم يجيئون إلى مصر ليتفرجوا على أحفاد الفراعنة . . ماذا فعلوا بأجدادهم ، وماذا فعلوا لأنفسهم . .

اخطف رجلك إلى مدريد فسوف تجد معبدا فرعونيا متواضعا جدا هدية من الرئيس عبد الناصر . . ولكن انظر وتأمل وتحسر . . كيف احتفلوا به وكيف وضعوه فى أعظم الميادين . . إننا لا نستطيع ولا نحب وليس فى نيتنا ولا عندنا ذوق ولا حس تاريخى ، لكى نفعل شيئا من ذلك !

حمدى فــؤاد

كنا ثلاثة زملاء الدراسة والصحافة أصدقاء العمر : أزوريس فؤاد مقار ، وصليب بونيه ، وأنا . عملنا فى جريدة (الأساس) . وأصر الأستاذ محمد صبيح نائب رئيس التحرير أن يغير اسميهما فاختار حمدى فؤاد بدلا من أزوريس فؤاد مقار واختار اسم عادل مجدى بدلا من صليب بونيه . . وعملنا فى (روز اليوسف) وعملنا مع كامل الشناوى فى (الجريدة المسائية) وبعدها انتقلنا مع كامل الشناوى إلى (الأهرام) فيما بين سنتى ١٩٥٠ و١٩٥٢ ، وبعدها انتقلنا مع كامل الشناوى إلى العمل فى جريدة (الأخبار) التى صدرت بعد التحاقنا بأسابيع . . ولم ننفصل . ولم يتغير حمدى فؤاد الصحفى المشاغب خفيف الدم موجع الذكاء ، والمحرر الدبلوماسى الأول فى العالم العربى . .

ولما عمل فى (نيويورك تايمز) انفرد بكل أخبار اكتشاف كمال الملاخ لمراكب الشمس . مما أدى إلى معركة بين صحف بريطانيا وأمريكا . . وهو أول من نشر فى نيويورك تايمز قصائد الفيتورى الشاعر السودانى المأخوذة من ديوانه (أغانى أفريقيا) . .

وكم توسلت إلى حمدى فؤاد أن يعود وأن يجلس ويكتب

مذكراته فلا نهاية لمن عرف ولما عايش من الشخصيات والأحداث فوعد . واستعنت بزوجته الزميلة هدى توفيق . ولم نفلح . ولعله اليأس قد أصابه سرا بعد أن فقد أحد ولديه التوم . وإن كان قد تحمل الكارثة بشجاعة نادرة . ولما رأينا ابنه الصحفى أشرف فؤاد أسعدنا ذلك . وأحسسنا بأنه تعويض عن براعة والدته وحيوية والده .

ولا أول ولا آخر للحكايات والنوادر التى صنعها ويرويها حمدى فؤاد . ولن ننسى نحن طلبة الفلسفة كيف تساقطنا من الضحك يوم امتحان مادة المنطق . فقد كان أستاذنا عبد الرحمن بدوى يدرس لنا موضوعا هو : نظرية كم المحمول فى القضايا المنطقية . . ويوم الامتحان سألنى حمدى فؤاد : إيه حكاية نظرية كامل محمود ؟ من هو كامل محمود ؟!

أما أساتذتنا عبد الرحمن بدوى وعثمان أمين ومصطفى باشا عبد الرازق وعلى عبد الواحد وعبد العزيز عزت ومحمود خضير ومسيو باترى ومستر لامونت ويوسف مراد فدهشتهم وضحكهم لاينتهى عندما يدخل قاعة المحاضرات حمدى فؤاد وعادل مجدى فكلاهما عريان الصدر وله عضلات ومجانس . . ونظرات أساتذتنا تتساءل إن كان هذان الملاكمان يدرسان الفلسفة حقا ؟ فدخولهما وخروجهما مناسبة سعيدة يوميا للضحك ، وعندما تخرجا فى قسم الفلسفة كان لنجاحهما طعم المعجزة !

والذين عايشوا حمدى فؤاد أخيرا يؤكدون أنه كان يعرف أنه مريض شجاع . ولكن ما الذى تستطيعه الشجاعة إذا انقضى الأجل ، يرحمه الله ، أصدق الأصدقاء وألطفهم .

نحن كذلك !

أنا لا اكتب (من) فراغ أو (فى) فراغ ـ لأننى أكتب عن قراءة وتفكير فى أى موضوع أتعرض له . . ولا أكتب فى صحراء خالية من الجامعات وألوف العلماء وملايين المثقفين ـ وهذه العبارة رد على ما جاءنى من د . عبد العزيز الشنوانى يسألنى إن كانت الأرقام التى تجىء فى مقالاتى عن الكون دقيقة وكلمة (دقيقة) هذه ليست دقيقة فالمساحات سحيقة فى الزمان والمكان . والمعلومات قليلة جدا . ومن حين إلى حين يضاف شىء قليل نراه اكتشافا عظيما . ونبنى عليه نظريات واحتمالات ننقضها أو نرفضها ثم نفرح بها إلى حين . .

فقد تفاوتت الأرقام فى نشأة الكون ، فهناك من يقول إن (هذا) الكون (بدأ) من ١٤ ألف مليون سنة . . ومن يقول من ١٢ ألفا ، ومن يقول ١٨ ألفا . وفى هذه العبارة كلمتان موضع شك . . فكلمة (هذا) الكون إننا لانعرف إن كان (هذا) الكون هو الكون الوحيد . . أو أن هناك أكوانا أخرى . . ألوفا أو ألوف الملايين . . ثم كلمة (بدأ) فنحن لانعرف إن كانت لهذا الكون بداية ونهاية . . لأن البداية والنهاية من صفات عالم الإنسان . . ولانعرف إن كانت هاتان الكلمتان تنطبقان على الكون فلو قلنا له بداية يكون السؤال : وماذا كان قبل البداية ؟

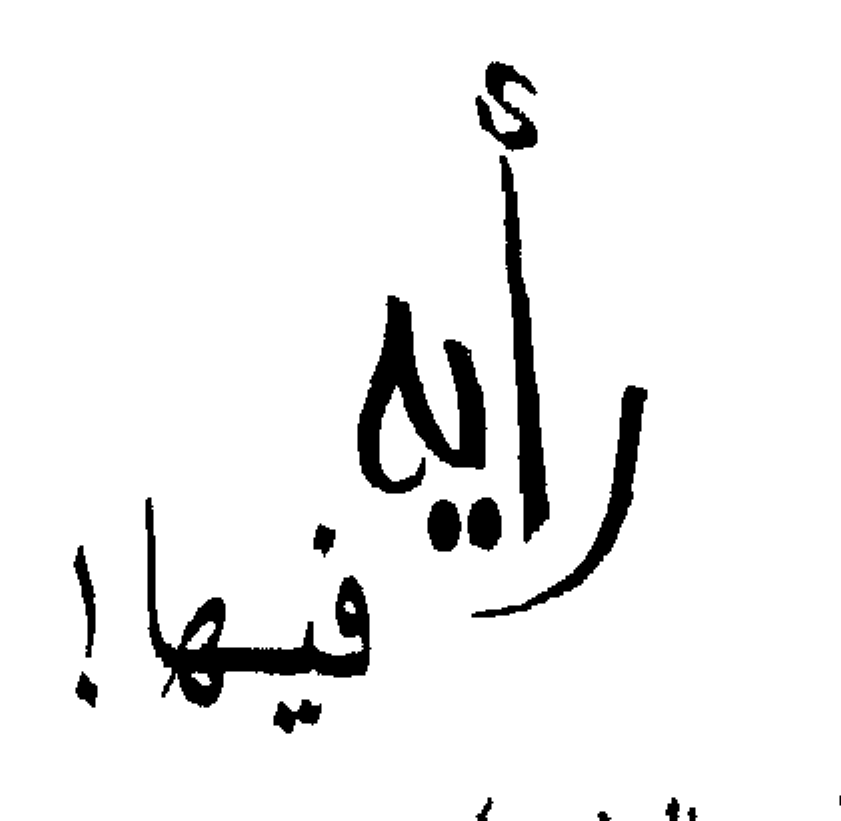
والكون واسع يقاس بألوف ملايين السنين الضوئية . والسنة الضوئية طولها رقم واحد ، وأمامه ١٣ صفرا من الكيلومترات . .

وكل يوم نرى حجرا وترابا وجليدا ووميضا ، وتدور العدسات والأطباق والهوائيات نحو هذا الذى رأيناه ، وتتجه عيون المراصد المدارية والمراصد التى فى الطريق إلى الكواكب الأخرى . . وتلتقط صورة لمولود جديد . . أو لجنازة نجم قديم أو ملايين النجوم ، تدفع بعضها البعض إلى مقبرة كونية اسمها (الثقوب السوداء) . . ففى جانب من الكون تولد نجوم وفى جانب آخر نرى جبانات فلكية تبتلع ملايين النجوم . .

والذى يموت سوف ينهض مرة أخرى ويتفجر ويتناثر ويتمدد إلى مالا نهاية ، ثم يتقلص وينكمش ويتكثف . . فكل شىء فى (هذا) الكون يولد ويموت . . ثم إن فى الكون مادة مظلمة . . فليس كل ما فى الكون مضيئا . . والكون كتل من النار والجليد والتراب والعواصف المغناطيسية الوحشية . . ودرجات الحرارة بالملايين فوق وتحت الصفر . .

وهناك من يقول : إن الكون ليس دقيقا محكما فهناك مصادفة واحتمالات . . وهناك من يقول : بل هو مربوط منضبط من الأزل إلى الأبد . .

سوف أقرب لك الصورة : فمثل نملة ذكية فوق زلطة تحاول أن تلتقط صورة لكوكب المريخ . . نحن كذلك نحاول أن نعرف ونفهم ونستنتج ونفرح بما لدينا . . ثم نعود فنغير ذلك إلى مالانهاية . . أو إلى نهاية آخر إنسان على هذه الأرض !



رأى الأستاذ عزت السعدنى فى المرأة (زى الزفت) .

ولكنه يحشره فى زفة عروس وكوشة وورد وبخور هندى تخرج منه أفعى ترقص وتختفى لتقتل مليونا ، ثم تعود وكأنها لم تفعل شيئا .

اقرأ مقدمة كتابة (كيد النساء) فهى جميلة . ثم اقرأ الكتاب من الفصل الذى يتحدث عن (مؤامرة الحريم) فى بلاط الملك رمسيس الثالث . فزوجته الثانية تريد أن تقتله لكى يكون ابنها ملكا وليس ابن زوجته الأولى . ولا تتردد أى أم فى أن تقطع زوجها ألف قطعة وتلقى بها عند قدمى أولادها ـ كذلك تفعل العناكب والعقارب . ولا نعرف إن كانت قد قتلته . ولكن كان فى نيتها وتدبيرها وكل النساء على استعداد لأن يفعلن ذلك .

وبلغة الموسيقى فكتاب عزت السعدنى : تنويعات على لحن واحد هو : أن المرأة أجمل وأرق وألطف وأقوى وأعمق أفعى فى الدنيا !

وفى مقدمة الكتاب ينقل عن سيدنا على قوله : شر كلهن وأسوأ ما فيهن الحاجة إليهن !

ويقول الإمام على أيضا : فى المرأة ثلاث خصال من خصال اليهود : يحلفن وهن الكاذبات ، ويتظلمن وهن الظالمات ، ويتمنعن

وهن الراغبات . . فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا من خيارهن على حذر !!

يعنى أن نستعيذ بالله من المرأة الشريرة ومن المرأة الخيرة أيضا .

ونستثنى من كل هذه الشرور أم موسى وأم عيسى وبنات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآسيا فرعون . . وزوجات الأنبياء والمرسلين ـ فيما عدا زوجتى لوط ونوح .

وجعل كتابه حوارا بينه وبين سيدات جميلات فى مكتبه لم يتوقف عن الغزل والنظر إليهن . . وقال وكال . . قال أحلى الكلام ، وكال أشد السموم . . وضحك منهن وعليهن . . وعلينا أيضا .

وهناك تفسيرات فلكية جديدة لبعض القصص التى جاء بها فى هذا الكتاب اللذيذ ، وخاصة قصة زوجة لوط . . فهناك تفسير أن امرأة لوط منعوها ـ لا نعرف لماذا ؟ من النظر وراءها . وطبيعى أن تنظر لما أصاب المدينة وأهلها . . مع أنه حب استطلاع عادى . . ويقال : إنها تحولت إلى عمود من الملح . أما التفسير الجديد فهو أن انفجارا نوويا(؟!) قد وقع فى ذلك الوقت . . وأنها تحولت إلى هذا الملح بسبب ذلك الانفجار الذى أصاب مدينتى سودوم وعمورة ، ويقال : نيزك هبط من السماء . . ويقال : سفينة فضائية ارتطمت بهذه المنطقة .

ولكن القصة القديمة تفى بالهدف الأخلاقى المنشود . . فالمرأة من الممكن أن تنحرف حتى لو كان زوجها نبيا ـ والمثل يقول : كل نبى فى وطنه وأهله : مهان !

القتلة ..

الإرهاب فى كل مكان والمسدسات اختفت فى المصاحف ، والقاتل يهلل ويكبر عند ارتكاب الجريمة . يسمى بالله قبل أن يغتال الأبرياء . . والناجون من الموت يحملون المصاحف أيضا . . القاتل يقول : اتقوا الله والبرىء يقول : بل اتقوا أنتم الله !

فلماذا ؟ الشباب فى شارع الهرم يقتل انتقاما مما فعلته إسرائيل فى لبنان . . يقتلون اليونانيات العواجيز الأبرياء انتقاما من إسرائيل . . أو يقتل السياح انتقاما من مصر التى اعتدى على رئيسها فى أثيوبيا ونجا والحمد لله . . أو انتقاما من السياح الملايين الذين عادوا إلى مصر حبا وعشقا وشعورا بالأمان . .

وفى الشرق الأوسط نجد الجماعات تلعب بالنار والحكومات تلعب بالنواة والخردل . . ومصر بين ديمونة فى إسرائيل ، وترهونة فى ليبيا ومعسكرات الموت فى السودان . . ومع ذلك استطاعت أن تحقق الأمن لها ولضيوفها وأن تساعد على وقف النار والدم فى لبنان ، إننا نحاول ولكن ما حيلتنا إذا كانت أمريكا والدول الكبرى لها رأى آخر ورؤية وقدرة لا نقدر عليها . .

إذن لقد تلطخ السلام بالدم . . والدم يأتى بالدم ، والقوة تستدعى القوة . . والعنف يحتم الانتقام . . وندخل فى دوامة أولها هو آخرها . . ويومها هو غدها . . والموت بين أصابع الجميع وعلى رقاب الجميع . . ونتوهم فنسمى ذلك سلاما باردا . . إن السلام يغلى ولكنه لم ينفجر بعد .

فإذا لم ندركه ـ نحن جميعا قاتلين ومقتولين ، أبرياء ومعتدين ، دول الشرق الأوسط والشرق والغرب ، فهى الحرب الشاملة التى لسنا مستعدين لها . . ولا ضرورة . . فالذى أحدثته الحروب الخمس السابقة مازال ألما حيا وكراهية وحشية . . ومازلنا نعانى . فإذا كانت الحرب هذه المرة فهى حرب إبادة للجميع . . وإذا كانت المصانع النووية والكيماوية لم تكتمل بعد فإن المواد المخزونة فيها جاهزة لتحويل الشرق الأوسط مهبط الأديان إلى مقبرة لكل الأديان والمذاهب . .

وفجأة ظهرت سيارة مشحونة بالديناميت فى طريقها إلى مكة وملايين الحجاج . أعوذ بالله . . من الذى بعث بها ؟ أما الهدف فواضح وليس الهدف فقط هو قتل الحجاج الأبرياء من كل شعوب الدنيا . . ولكن هدف الأهداف هو الدولة . .

وقبل ذلك غضبنا من الزعيم جيرونفسكى النازى الروسى الذى قال : إن المسلمين هم القتلة فى كل مكان . . نعم . وهم ضحايا المسلمين أيضا ـ مع الأسف !

مطلوب حدائق..

بسرعة تبرأ كبار المسئولين من أن أحدا منهم قد وافق على اقتطاع جزء من حديقة الأسماك لحساب محل يبيع السندوتشات . . أو جزء من حديقة قصر محمد على لإقامة فندق سياحى . وأنا لا أعرف هل كان النفى سببه الشعور بالفضيحة ؟ ! فطبيعى جدا أن نفكر فى ردم الحديقة ، تماما كما نردم الأرض المزروعة لبناء البيوت . . وإصرارنا على إبادة الحياة النباتية ليس له نظير فى الدنيا . ولا نتعلم من أحد . . فالأفلام التى نشاهدها تعرض علينا الزهور والورود فى النوافذ والبلكونات فى البيوت التى أقيمت فى الغابات . . أى الناس لا تكفيهم الأشجار والورود والزهور والطيور فى كل مكان وإنما يضعون فى بيوتهم حدائق صغيرة من صنعهم . . لأنهم يحبون الحياة . ولأنهم يتذوقون الجمال . والذين يحبون حياة النبات يحبون حياة الحيوان ويحترمون حياة الإنسان ويدعون إلى الرحمة ويستنكرون القسوة ويقاومون المرض والموت ! إلا عندنا . فمن المشاهد المألوفة أن تجد شخصا يجرى ونتابعه لنرى ما الذى سوف يفعله . . فنجد يده قد امتدت إلى زهرة وقطع رقبتها . . وفى لحظة يكون قد سحقها بيده . . ثم ألقى بها على الأرض . . بالله عليك ما معنى ما حدث ؟ ما معنى

الاستعجال ؟ ولماذا قتلها بأصابعه ؟ وما المعنى . . وما الذى يستفيده من التبديد والتخريب واغتيال الجمال الحى؟! شىء عجيب أن تتولى السيدة سوزان مبارك تحويل الخرائب إلى حدائق وتبنى وسطها مكتبة لطفل . ونحن سعداء بهذا الشعار الذى تحول إلى فلسفة إنسانية إبداعية تربوية . ولكن فى مواجهة هذا البناء والإنشاء ، هناك تيار خفى لاختصار الحدائق تمهيدا للقضاء عليها . . كأننا نريد أن نعيد الخرائب التى تحولت إلى حدائق . . كأن الأصل هو زيادة رقعة الخرائب فى القاهرة وفى العواصم الأخرى . . فإذا نقصت لأى سبب ، فلابد أن نعيدها إلى ما كانت عليه !

ولاتزال القاهرة ينقصها الحدائق . . فالحديقة الدولية عمل إيجابى . ولا أعرف كيف أفلتت من المعارضة أو المقاومة أو من تخريبها أو اتهام الذين أنشئوها بالسرقة ! إن الصحارى حولنا تنادينا أن نزرع فى عشر سنوات عشرين حديقة على ألف فدان لكل الناس . . حديقة مفتوحة يسافر إليها ويحج كل الذين اختنقت صدورهم بتراب وهباب القاهرة . . وكل الذين يريدون الصحة مجانا . . فكل العواصم المتحضرة لها مثل هذه المساحات الجميلة . . ومصر أم الحضارة التى تعمل جاهدة ـ مع الأسف ـ على وأد مظاهر الحضارة !

أفول الآلهة..

فى القرن الماضى اختار الموسيقار الألمانى فاجنر عنوان «أفول الآلهة» اسما لواحد من أروع أعماله الأوبرالية . . وكأن هذا الاسم نبوءة لما سوف يحدث فى زمانه وفى القرن العشرين . . فبعد ظهور آلهة أبطال . . لم يكتف الإنسان بعبادتهم وإنما شوههم بعد ذلك : لينين وهتلر وموسولينى وماو وبيرون وفرانكو . . فبعد أن ركعوا عند أقدامهم وماذا فعلوا بهم؟ وكل أبطال وزعماء الدول الأخرى قتلوهم ونفوهم وشردوهم ثم فضحوهم بعد ذلك . فما المعنى ؟

إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يصنع أصنامه ويهدمها فوق دماغه ، لابد أن يهدم من بناه وما بناه . .

ونظرة واحدة إلى العالم حولنا نجدهم فى أمريكا بعد أن وصفوا الرئيس كيندى بأنه أقوى رؤساء أمريكا ، وصموه بالسفالة والانحطاط الأخلاقى . . فقبيلة كيندى كانوا يتبادلون النساء . . مارلين مونرو وغيرها . . بل إن روبرت كيندى صار عشيقا لأرملة أخيه : جاكلين ؟!

كأن الأمريكان لم يكتفوا باغتيال كيندى ، وإنما أخرجوه من

قبره وألقوا به فى الوحل هو وزوجته ، وعندما اختاروا كلينتون اختاروا صورة أخرى لكيندى . . ثم ماذا فعلوا بهذا الشاب الحليوة أقوى رجل فى الدنيا وزوجته أقوى سيدة فى العالم . . فهى تحكم الرجل الذى يحكم الدنيا . . وعيروا كلينتون بأمه مع أن أمه ليست عارا على أحد . . إنها ممرضة مكافحة تعيسة الحظ مع ثلاثة أزواج : السكير والمقامر والمريض . . ولكن ابنها كان متفوقا حتى بلغ القمة . . والأمريكان لم يكتفوا ببهدلة هذا الرجل وأمه وزوجته ! والإنجليز كانوا يرون تشرشل بطل أبطال الحرب . . ثم كشفوه عاشقا فاشلا . . نشروا حكاياته مع إحدى سيدات المجتمع التى أصرت على رفضه . . ولم ينسها ولم تنسه أيضا !

ولكن ابن تشرشل لم يكتف بفضيحة أبيه وغضب أمه على ذلك ، بل قال : إن والده لا كان محبا ولا عاشقا ولا عنده ذوق . . وإنما هو رجل عنده حاسة قوية تشم رائحة الفلوس فأبوه كان يريد فلوس هذه السيدة الجميلة !

وفى فرنسا يتعجلون موت الرئيس ميتران عندما نشروا أن له ابنه غير شرعية عمرها عشرون عاما !

وفى كل الدول يكتشفون لصوصا يسكنون القمم . . فهل هم لصوص ارتفعوا ، أو هم أبطال انحطوا . . وإذا صارت القمم سفوحا . فما معنى الانحطاط والسمو . ثم ما معنى البطولة !

لاأصوات جميلة

(١)

حزنت عندما رأيت على الحجار يغنى فى عيد الإعلاميين . . مسكين . . فلا استطاع أن يغنى ولا أن يؤدى ولا أن يتنفس . . لقد كان صوته حشرجة . . ولم أعرف إن كان الصوت يخرج من عينيه أو من فمه .

فهى ثلاث فتحات صينية متشابهة !

أرجو أن تكون هذه آخر سقطاته . .

وهذا هو واحد من الأصوات الشعبية ـ أى التى لها شعبية . وإن كان لم يعجبنى لا اليوم ولا فى أى يوم . ولكن من عادة الإنسان إذا لم يجد ما يحبه ، فإنه يحب الذى يجده . . وهو عيب فى الذين اعتادوا عليه أو على صوته أو صوت غيره من العاجزين . ولم أجد صوتا واحدا من الأصوات التى جندها التليفزيون فى عيده له أية ميزة . فكلها أصوات ضعيفة هزيلة . لا هى طرب ولا هى أداء . . وإنما هى استمرار حزين . وإذا أغمضت عينيك وأنت تسمع للمطربات فمن الصعب عليك أن تعرف واحدة منهن . . أنا لم أعرف وقد وجدتها مناسبة لأن أستمع وأعرف . وقد سمعت ما كنت أعرف ، وعرفت ما كنت أتوقع والنتيجة صفر ، حتى هانى

شاكر لم أعرف ما الذى أصابه هو الآخر كان صوته جميلا . ولكن الآن قصير النفس . هل هو مرهق ؟ من المؤكد أنه كذلك خسارة ، إنها خسارة عليه وعلينا ـ حتى محمد ثروت أقوى الأصوات لا أعرف ما الذى جرى له ، لقد سمعت له خمس أغنيات (قصيرة) . لم أتصور أنه محمد ثروت الذى غنى لمحمد عبد الوهاب فى القاهرة وفى لندن . . . الصوت القوى العريض الطويل الشاب المدرب الذى صفق له محمد عبد الوهاب والذى صفقنا له أيضا . لقد أخطأ محمد ثروت تماما كما أخطأ كمال الطويل . محمد ثروت تصور أن الأغنية الحديثة هى القصيرة ـ وليس صوته وتنفسه . . كانت أغنياته قصيرة ، وكان تنفسه أقصر . . ثم غلطة أخرى وقع فيها محمد ثروت وهى أن صوته أصابته (رعشة) فأصبح الآن أقرب إلى محمد قنديل وأبعد عن طبيعته المتميزة . وغلطة كمال الطويل أنه عندما قدم صوتا جديدا لفتاة اسمها (لينا) جعلها تردد أغنيات عبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة . فلا كانت عبد الحليم ولا كانت نجاة . ظلمها . وقد قال لى كمال الطويل فى أسباب جعل الإيقاعات أعلى من اللازم : إن ابنه الشاب زياد الطويل هو الذى أقنعه بأن هذه هى موسيقى العصر التى يرقص عليها الشبان . أى مطلوب أن يرقصوا دون أن يسمعوا المطربة . . أى المطلوب (تحديث) اللحن ودفن المطربة . . فكان لهما ذلك !

والذين حزنوا مثلى على مطربهم على الحجار فسروا ذلك بحكايات كثيرة . . الحكايات لاتهمنى . والذى يهم هو ما رأى الناس الذين سمعوا واستنكروا ومصمصوا شفاهم أسفا عليه !

(٢)

حال الغناء المصرى يسر عدوا ولا يسر حبيبا . فكل الأصوات الجديدة فقيرة الموهبة وهزيلة التدريب جريئة الظهور على الشاشة .

وإذا كانت قد انتشرت فالفضل يرجع إلى التليفزيون الذى يدخل ملايين البيوت فى كل لحظة . . وحالهم مثل حال واحد أعرج ركب طائرة . . فإذا كان قد وصل إلى لندن قبل أن يصل المشاة إلى الإسكندرية ، فليس السبب أن الأعرج أسرع ، وإنما هى الطائرة . . فكذلك هؤلاء المطربون أكثر انتشارا . والفضل يرجع إلى التكنولوجيا . فقد كانت أم كلثوم تحتاج إلى ألف سنة فوق ظهر حمار لكى يسمعها عدد الذين يسمعون الآن أغنيات الصابون والشاى !

ونحن أمام نوعين من المطربات : مطربات عربيات . ومطربات مصريات . . المطربة العربية عندها فلوس تدفعها لأكبر الملحنين . والباقى يتولاه المخرج التليفزيونى والتليفزيون . والمطربة المصرية لا عندها فلوس ولا عندها مخرج يقنع بها التليفزيون . ولذلك تصدرت الغناء الفتيات المصريات القادرات على جانب من أجر الملحن والمخرج والموزع والمخرج الثانى إياه ؟ أما أصحاب الأصوات الجميلة فوراء الأبواب والنوافذ يبكين حظهن الهباب . . وإن كانت بعض المطربات الوافدات لهن أصوات جميلة . . أفضل من أصوات

المصريات . وسوف يبقى هذا الفارق مستمرا ويتسع بمرور الوقت واعتياد الناس على سماعهن . .

إلى جانب أننا نحن المصريين نحب الغرباء؟! حتى لو شتمونا ولعنوا أجداد أجدادنا . وقد حدث . ولانزال نحبهم . وبالمناسبة هناك عبارة قاسية ولكنها صادقة للشاعر الألمانى هينه يصف فيها الألمان . قال : إنهم كالكلاب يقبلون أقدام الغرباء . . فكل المطربات والمطربين الذين شتمونا والشعراء ، كان لهم عظيم الاحترام فى كل وسائل الإعلام المصرية ؟!

مثلا المطرب اللبنانى راغب علامة . ليس معجزة الله فى خلقه . لا صوته خارق للعادة . ولا جماله ساحر . . ولكن المصريين يقبلون أقدام الغرباء ويدفعون عشرات الألوف من الدولارات . لماذا؟ أرجو أن تسأل لى معك و النتيجة : أننا تعاونا جميعا على أن نضع نقطة كبيرة فى نهاية السطر الذى يقول : مات محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ولم يظهر من بعدهما أحد لا فى مصر ولا فى غيرها . وماتت أم كلثوم وفايزة وربنا يطيل فى عمر فيروز !

فماذا نسمع عندما نجلس أمام المطربات الجديدات؟ أولا لسن مطربات . فأنت لاتسمع الواحدة وترجع فى مقعدك وتقول : الله يا بنت . . الله !

وإنما تقول : الله يخرب . . . .

(٣)

فما هو الصوت الجميل . . أو ما هو الجمال ؟ الشىء الجميل هو الذى يبعث فى نفسك البهجة والراحة .

والأستاذ العقاد له رأى . وهو أن الجمال هو الحرية . . فالصوت الجميل هو الصوت الذى ينطلق بسهولة دون أن يوقفه شىء فى الحلق . . فى الحنجرة فى الأسنان فى اللسان . . والجسم الجميل هو الذى تنساب فيه الحياة بحرية ، فلا تتوقف عند الصدر أو الردف أو الساقين . .

وإنما الحياة تنساب فى سهولة . .

والفن تعبير جميل . أو تعبير مريح . . استمع إلى صوت أم كلثوم . . إلى صوت فايزة أحمد إلى محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ . . كيف يخرج الصوت من غير مجهود . . من غير أن تتمزق الحنجرة والجوانب . . فالغناء عندهم هو التنفس الجميل . . ثم إن الغناء هو فن تنظيم التنفس . أسوأ صورة لذلك : على الحجار وهو يغنى . . إنه يكاد يتقطع ألف حتة وهو يحاول ألا تقع منه حنجرته . . وأصوات أخرى كثيرة جديدة . . إنها عاجزة تماما عن التنفس . . قد امتلئوا هواء يحاول أن يجد له مخرجا . .

ومن أجمل ما قيل عن الأصوات ما قاله المفكر العربى أبو حيان التوحيدى فى كتابه البديع (الإمتاع والمؤانسة) . يقول أبو حيان فى

وصف مطرب شـاب : إنه يسـرقك منك ويردك عليك ، يعـرفك منكرا لك ، وينكرك عـارفـا بك ، فـحـالـه حـالات ، وهدايتـه ضلالات . وهو فتنة الحاضر والبادى .

إلى هذه الدرجة يفعل الصوت الجميل بالناس . فالناس كان عندهم ذوق . وكان الجمال يفعل بهم ما يشاء . . يسلبهم عقولهم ، ثم يردها . . ويجعلهم أطفالا صغارا يبكون . . لقد كان هناك طرب وكان هناك من يتذوق الطرب . لقد ذهب ذلك كله . وفسد الذوق وصـار مـريضـا . . الذوق الذى يهـتـز للكلام الفـارغ ويتـولى من الحشـرجات الغنائية . إن الذوق العـام ليس فـاسـدا فـقط ، ولكنه مريض . ومظاهر المرض واضحة فى احتضانه للأصوات الركيكة الأداء الهابطة الغناء المتدنية الكلام . .

فى الستينات جاءت إلى القاهرة مطربة فرنسا اسمها جوليت جريكو . ذهبنا إليها لأنها أديبة وجودية - وكنا كذلك . سألتها قالت : إذا ذهبت إلى الغناء فلا أذوق طعاما ولا شرابا . ولا أعرف ما هو الفرق بين الغناء والصلاة . فأنا فى محراب الجمال راهبة ، وفى محراب الدلال شاعرة !

ولا أجد اليوم رهبانية فى الفن أو فى العلم . وإنما الصدفة جعلت هذا مطربا وجعلت ذلك مؤديا . . وتكفل التليفزيون بالنشر والشعبية !

(٤)

لابد أن هناك أصواتا جميلة فى مكان ما من مصر . فى الريف حيث الهواء أنقى والحياة أهدأ . فى المدارس وفى الجمعيات . . لابد أن هناك مواهب . . إنها ثمار على شجر لم تمتد إليها عين ولابد . ولابد أن نبحث عنها . . إن الذين يبحثون عن لاعبين جدد للأندية الرياضية يجدونهم فى المدارس فى الريف وفى الحوارى وفى الميادين . . إنهم يلعبون بعيدا عن العيون على أمل . . والأمل أن يراهم أحد . . فإذا رآهم أن يحتويهم ، وإذا احتواهم أن يوجههم . . وكذلك الذين يبحثون عن الوجوه الجديدة . . إننا نجدهم فى الإعلانات . . وقبل ذلك كنا نجدهم فى المدارس والأندية ، ومن الممكن أن تكون هذه الوجوه نجوما . . ومن الممكن ألا تكون . فلكى تكون نجما لابد أن تكون موهبة يجرى تحضيرهم وصقلها . وبعد ذلك يجب أن نصبر عليها . . وأن تصبر هى على نفسها . .

ولكن فى جميع الأحوال لابد من الموهبة . ولابد من الدراسة ، ومن التدريب ومن التعب ومن العذاب . .

وفى استطاعتك أن تسأل : ما هى تجارب هؤلاء الذين نسمعهم ولا نطيقهم . . وتجدهم فى كل ميكروفون وعلى كل شاشة ؟ . . أكثرهم لم يتدرب على الموسيقى والغناء . وأقلهم يتدرب . . إن لدى امتحانا لكل من يريدنى أن أسمع صوته ليعرف رأيى . . سواء

كان هذا الرأى فى المكتب أم فى البيت أم فى التليفون ، إننى أطلب منه أن يغنى واحدة من هذه الأغنيات : أنا هويت لسيد درويش ، وبلبل حيران لعبد الوهاب ، وهلت ليالى القمر لأم كلثوم ، وسواح لعبد الحليم ، وست الحبايب لفايزة . . فأية واحدة قادرة على كشف صوت المطرب وقدراته وأذنه الموسيقية ونطقه للكلمات وإشباعه للحروف . . ثم تنظيمه لخروج الهواء من صدره . .

وقد استمعت إلى عشرات . . وعشرات آخرون بعثوا بكاسيتات ولم يحدث إلا مرة واحدة أن وجدت من الضرورى أن أتصل بصاحب الصوت لأسمعه شخصيا . وفى هذه المرة فوجئت بصوت والدته تبكى : والله يا ابنى تعبت معه . لقد هاجر إلى أستراليا . ويقول : إنك أنت الذى نصحته بأن يطفش من مصر . .

لا أنسى شابا جاء بتوجيه من أحد عمداء كلية الطب بلدياتى وقريبى . التوصية تقول : إن لم يكن عبد الوهاب فهو عبد الحليم وإن لم يكن عبد المطلب فهو عبده السروجى . حاول معه ينوبك ثواب .

لم يكن العميد جادا . ويبدو أنه تخلص منه عندما بعث به . استمعت إليه . وكان لابد أن أصرفه فسألته : من الذى كتب لك الأغنية . .

وكان الجواب أنه هو المؤلف والملحن والمغنى وأنه لايحفظ شيئا لأحد فى الدنيا غيره هو ـ طبيعى أن يخرج ولايعود !

(٥)

وكانت عندنا محاولات كثيرة لتقديم الأصوات الصالحة للغناء أو القادرة عليه . فمن يدرى ربما كانت موهبة مطمورة أو مطموسة أو عليها صدأ . . من يدرى . وكانت برامج الهواة فى الإذاعة . . وأضواء المدينة . . وبرامج إذاعية كثيرة لها نفس الدور . واتسعت الآن فرص الظهور وزادت الحاجة إلى مواهب فى الأداء والغناء والطرب . .

وكثير من الأصوات دخل صناديق الليل ولم يخرج . ربما كان الصوت الوحيد الذى دخل وخرج سليما هو أحمد عدوية . . فحنجرة أحمد عدوية استعصت على البرودة والحرارة والدخان الأزرق والكحول الفاتح والغامق . ولكن أحمد عدوية ظل مطربا سيئ السمعة . لأنه يغنى ويرقص والسماء تمطره دولارات وإسترلينى ولابد أن يوقظ السكارى بالألفاظ القبيحة والحركات ليضحكوا ويضحك . ولما فكر فى أن يغنى كلاما محترما وأن تكون ألحانه كلها جميلة وموسيقاه أيضا ، كان الوقت قد فات . .

تماما كما تأخرت نجوى فؤاد فى أن تغنى . . ولما غنت كانت وهى ترقص وتلهث . ولو وقفت على بعضها وغنت لكانت شيئا لأن خامة صوتها حلوة . ولكنها مصرة على أن تغنى وترقص فرقصت ولم تغن ـ وفات القطار يا نجوى !

وهناك مطربون توقفوا تماما . محمد قنديل صاحب الصوت البديع توقف عند أربع أغنيات ولم يضف إلا باروكة . . ولكن لايزال صوته جميلا !

والمطرب الشعبى محمد رشدى توقف هو أيضا . . وكذلك محمد العزبى ومات عمر فتحى وكان ألطف وأظرف المطربين فى ليالى القاهرة .

أما المطربة نادية مصطفى فقد كانت فرحة كبيرة يوم ظهرت . فنحن فى عرض صوت مصرى جميل . ولاتزال تغنى هادئة الأداء محبوبة من الناس .

وكان من الممكن أن تبقى عفاف راضى أطول وأعرض وأعمق . ولكن ظروف الحياة وحدود قدرتها . .

أما صاحبة أظرف وأخف وأجمل صوت ودود صميم شادية ، فالله يجازى الذين خطفوها منا وحرمونا رقتها ودلالها !

وكنت أختلف مع محمد عبد الوهاب فى صوت نجاة الصغيرة . ورأى عبد الوهاب أن صوتها رقيق دافئ . وأنها تؤدى ما يصعب على غيرها أداؤه . . أخيرا صدق محمد عبد الوهاب عندما سمعت (لينا) الصوت الجديد الذى قدمه كمال الطويل تردد أغنيات لنجاة . لقد ظلمها كمال الطويل وبهدلها ـ مع أنه لم يكن يقصد ذلك وإن لم تكن نجاة قد توقفت تماما ، فهى توشك على ذلك !

(٦)

لا أنسى يوما عندما كنت أطوف حول الكعبة أن جاءنى شاب سعودى يقول لى : حرام عليك . أنت تهاجم عفاف راضى . . يا أخى يكفى أن ليس عندها سيارة خاصة !

فى الكعبة يدافع عن عفاف راضى . مع أننى لم أقل إلا أنها يجب أن تتخلص بسرعة من أدائها الأوبرالى .

وبذكاء فوجئت بفتاة سمراء بالبنطلون الجينز وفى يدها ميكروفون . إنها عفاف راضى تريد أن أقول بصوتى ما سمعته من الشاب السعودى وأن أرد عليه . . وعليها !

ويوم جاءنى الشاعر الغنائى مأمون الشناوى ومعه المطرب الذى اكتشفه هانى شاكر وطلب منه أن يغنى . صوته متميز وفيه بحة جميلة . ولا يزال شابا وأمامه متسع من الوقت لكى يجلو صوته ويحلق فى سماء عبد الحليم حافظ . لماذا لاتسمعه ؟ سألنى مأمون الشناوى - وراح هانى شاكر يغنى . ولا يزال . لولا أن لى ملاحظات على صوته الآن . إنه مرهق تعبان زهقان قرفان . . وكلها سوف تنتقل إلى المستمع الذى يتثاءب ويكون هذا التثاؤب إغلاقا للباب والشباك فى وجه المطرب .

وعماد عبد الحليم . كان من الممكن أن يصبح نصيبه من الشهرة أكبر . لولا أن عماد عبد الحليم لم يهتد إلى حل هذه

المشكلة : هل يعيش أولا ويغنى ثانيا ، أو يغنى أولا ويعيش بعد ذلك . . ويبدو أن عماد عبد الحليم قد اختار الحياة على جثة الصوت الجميل . إلا إذا كان قد تغير رأيه بعد ذلك فكان الاختيار الصحيح . عليه أن يثبت لنا ذلك !

أما عمرو دياب فقد اختار أن يكون راقصا أكثر منه مطربا . وأن يبهر الشباب بشبابه . لا بأس . ولكن كل ذلك سوف يزول مع السهر والشرب والتعب والإرهاق . ولكن الصوت والأداء والتدريب هو الذى يؤدى إلى طول العمر . . فعمر المطرب بين ثلاثين سنة لسيد درويش وتسعين لمحمد عبد الوهاب . ولكن العمر الفنى بمئات السنين . إن أغنيات عمرو دياب الجميلة قليلة . ولايزال قادرا على أن يجعلها كثيرة !

أما مدحت صالح فهو صاحب صوت جميل ـ كان ويبدو أنه أدرك نفسه . فاتجه إلى ما هو أطول عمرا . إلى التمثيل . وهو مثل عبد الحليم ومحمد ثروت قادر على التمثيل والتعبير أيضا . ولا أدرى إن كان قد اختار التمثيل دائما والغناء أحيانا . ولكن الصورة التى يبدو بها تؤكد أن حياته شاقة وإرهاقه كبير . . والغناء يحتاج إلى راحة قلب وأحبال صوتية ـ ويبدو أنه لم يعد قادرا على تحقيق ذلك !

(٧)

يبقى بلدياتى محمد الحلو وإيهاب توفيق . . استمعت إلى محمد الحلو فى بيتنا . وهو لطيف الشكل . وربما كانت هذه هى مشكلته الأولى ـ ونحن نعرف معنى ذلك .

وطلبت إلى محمد الحلو أن يهتم بصحته وألا يتعجل أى شىء . فهو لايزال صغيرا وسوف يحصل على كل ما يتمناه بشروط فلن يحصل الإنسان على أى شىء لمجرد رغبته فى ذلك .

فهناك طريق . والطريق صاعد . والصعود مشقة وصبر وتضحية ، كل ذلك قلته لمحمد الحلو ، وعندما أرسل لى صديقا أكدت له ذلك . وفى استطاعته أن يكون أحسن لو أراد وكانت إرادته من حديد . . واستمعت إلى إيهاب توفيق وقلت له أيضا . قلت له كثيرا . فهو شاب . والمغريات كثيرة والزهد ضرورة . والتضحية واجب . وكل شىء يجىء فى حينه بعد ذلك ، وحذرته من التكرار . أى إذا أحب الناس أغنية أن يكررها فى كل مناسبة . لا بد أن يستغل حب الناس فى تقديم شىء جديد . وأن يهتم بصحته . .

ولن أذكر أسماء شباب آخرين أعرفهم . . ويبدو أنهم سقطوا فى الطريق إلى فوق . . بسبب هذه المخاوف التى ذكرتها لغيرهم من الشباب . . سألت أخيرا عن أحد الشباب وكان يعجبنى صوته

وكنت أدعوه إلى مكتبى ليغنى لعدد من الفنانين الكبار . وكان عندى أمل . وكان عنده .

أما الآن فهو فى أحد البارات ليلا ونهارا من لايعرفه يظنه البواب . . وقد جاءتنى مطربة . وقالت : إن صديقى وجدى الحكيم لايريد أن يقدمها . بل إنه يضطهدها . ولم أفهم لماذا ؟ فتاريخ وجدى الحكيم ملىء بالمواهب التى ساعدها على الظهور . وطلبت منها أن تغنى . وغنت . الصوت قوى جدا . . كأن حنجرتها ماسورة هواء . قوى ولكنه ليس جميلا . وهو واحد من الأصوات القوية التى ينقصها الجمال مثل : وردة وميادة وعزيزة جلال وفهد بلان !

وطلبت إليها أن تغنى لنجاة أو لفيروز . فأحسست أنها محمد عبد المطلب . ولما طلبت إليها تغنى لأم كلثوم كان صوتها أعلى وطبقتها فى السماء . . ولما طلبت إليها أن تغنى من غير ليه لمحمد عبد الوهاب أحسست كأنها تغنى زعق الوابور على السفر . وعرفت لماذا تتوهم أن وجدى الحكيم يضطهدها . وسألتها إن كان فى الأمكان ، وبأية طريقة أن تجعل صوتها منخفضا هامسا . فاستحال ذلك عليها ـ خسارة !

قابلت جمال سلامة وسألته عن صاحبة الصوت الجميل والذى سمعناه فى بيت الموسيقار مدحت عاصم !

إنها غير قادرة على دفع أجر الملحن الذى هو عشرة أو عشرون ألفا ـ فلن ترى النور أو يراها !

(٨)

هناك أربعة أنواع أو درجات أو أصناف من الأصوات : صوت قوى فصاحبه فى صحة جيدة . وهو يعيش فى جو ليس ملوثا . . أو هى طبيعة الحنجرة والرئتين معا مثل : وردة وميادة وعزيزة جلال وفهد بلان . ولكن على حساب الجمال .

وهناك أصوات حساسة للوزن والإيقاع والسلم الموسيقى والطبقة ولكنها ليست جميلة مثل صوت سيد درويش وزكريا أحمد وسيد مكاوى ومحمد نوح . .

وهناك أصوات فى حاجة إلى أجهزة إلكترونية لتبلغ الآذان وتستقر فى الوجدان : فيروز وشادية ونجاة والشيخ محمد رفعت ـ ولكنها جميلة .

ولكن الأصوات التى توافرت لها قوة الجمال وجمال القوة ورقة الضعف وضعف الرقة والإحساس المرهف فهى أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وفايزة . وهناك أصوات على مسافات متباينة من هذه الأصوات الفريدة ، وهى أصوات جميلة أيضا . . وأعود إلى الأصوات التى ظهرت فساتينها وشعورها فى عيد الإعلاميين . . فإذا أغمضت عينيك كان من الصعب أن تعرف من صاحب أو صاحبة الصوت . . فالفتيات لهن صفات مشتركة : الأصوات منخفضة والكعوب عالية ، والأنفاس قصيرة والفساتين طويلة .

فمن الصعب أن تعرف من التى تغنى أو تحاول؟ من التى تستعير هواء لتدخله فى حنجرتها ومن التى فشلت فى ذلك؟ . .

فكلها أصوات محدودة الدخل ـ دخل الهواء وخروجه . وأجنحتها الصغيرة لاتقوى على حملها بعيدا . ويبدو أن ريشها لن يطول . فقد ولدت طيورا داجنة كالدجاج والوز وليس حماما ولايماما . إنها الموهبة المتواضعة والتدريب القليل والأداء الكليل والصوت العليل !

كنت عضوا فى إحدى لجان التحكيم فسألت أحد الأصوات : هل من الضرورى أن تغنى ؟ أجاب : نعم أحب ذلك قلت : أنت تحب أن تغنى وتحب أن تكون مليونيرا ولكن قدراتك محدودة والمسافة كبيرة جدا بين ما تستطيع وبين ما تحلم به ؟ بلاش !

ـ فإذا كان إصرارى لاحد له ؟

ـ هذا شأنك وأنت حر أنت والناس !

ولم أكن أعمل على تحطيم وقصقصة ريشه . . فصوته هزيل وقدرته ضعيفة وموهبته إيدك والأرض . ولكنه يرى غير ذلك ويتخيل أن الناس الذين لم يسمعوه سيقفون إلى جواره . . إنه لن يكون مغنيا وإنما سوف يكون متسولا لعطف الناس . ومن الممكن أن تعطف على شحاذ ولكن لن تطلب إليه أن يغنى . . فإن كان هذا هو المقصود فليس أوسع من شوارع وميادين مصر ومساجدها وكنائسها . ففيها وأمامها مجال لهؤلاء الثقلاء من المتسولين ! وكثيرون مثله فى كل مكان !

الازدراء..

لعل أول من استخدم كلمة (الازدراء) فى الأدب العربى شاعر جاهلى . فقد رأى هذا الشاعر القديم أن الفقراء هم أحط الناس . والأغنياء أعظم الناس . فالفقير تحتقره زوجته ويشخط فيه أبناؤه . والفقير مجرم وإن كان بريئا . والغنى برىء وإن كان مجرما . قال الشاعر الجاهلى عروة بن الورد ، وما أجمل وأوضح وأصدق ما قال . وليس فى هذه الصفات ازدراء للقانون الجديد وللذين وضعوه أو وافقوا عليه أو سكتوا عنه :

ذرينى للغنى أسعى فإنى
وجدت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم
وإن أمسى له حسب وفير
ويقصيه الندىّ و(تزدريه)
حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه ـ والذنب جم
ولكن الغنى رب غفور ؟!

أما القانون الجديد فيرى أن الصحفيين (يزدرون) المؤسسات والهيئات والحكومة والقيم الأخلاقية . فهم - إذن - الأغنياء الأقوياء . . وهم الأقدر على أن ينظروا من فوق إلى تحت . . . أى الأقدر على التعالى والتعاظم . . . فهم أقوى من أى أحد ومن أى شيء . . . . وهذه القوة - قوة الازدراء - رشوة تسعدنا . . . يقدمها لنا القانون الجديد فإذا قبلناها ، ألقى القبض علينا وصار عقابنا وجوبيا . . . فالازدراء جعله القانون عقدا من اللؤلؤ حول أعناقنا ، ليكون بعد ذلك سهما مرتدا إلى نحورنا !

لقد كان ابن الورد الجاهلى أصدق وأنبل كثيرا من مشرعى القرن الحادى والعشرين !

وابن الورد لم يعرف ماذا جرى قبله بخمسة قرون فى مدينة أثينا . فقد كان أستاذنا سقراط يلف ويدور فى الشوارع حائرا بتلاميذه فى معانى الحق والعدل والخير والجمال . يعلمهم ويتعلم . فإذا جاء الليل عاد إلى بيته . . لتكون المفاجأة : إنه رجل فقير ولكنه لايدرى . . . ولكن زوجته هى التى تدرى . . . فتلقى على دماغه (طشت الغسيل) . فيتلقاه ضاحكا يقول : إن زوجتى كالسماء . . . تبرق وترعد . . . ثم تمطر بعد ذلك !

ولم يشأ أن (يزدريها) فيقول : إنها كالصرف الصحى !

وإذا لم أكن واضحا فى هذا الذى أقول فلأن الغموض أسلم . . وسوف يصبح الرمز هو المثل الأعلى . . . فلا يكون فاصل بين الحق والباطل . . . وبين الفيلسوف الفقير والثرى الخنزير . . .

وهكذا تجمعنا ، حاكمين وصحفيين ، صفة واحدة : هى أننا نزدرى بعضنا البعض . فالمساواة فى الازدراء عدل - اسوأ أنواع العدل !

سالك..

مات الرجل الذى أعطى الحياة لملايين الأطفال فى العالم . وكان من آماله أن يجد علاجا للإيدز بعد أن وجد علاجا لشلل الأطفال . مات جوناس سالك عن ٨١ عاما .

وكان الحلفاء قد استعانوا به مستشارا للوقاية من الأوبئة فى الحرب العالمية الثانية . وفى سنة ١٩٥٤ اهتدى سالك إلى لقاح لعلاج مرض (بوليو مليتس) أى التهاب المادة السنجابية فى الحبل الشوكى . وهو المعروف باسم البوليو أو شلل الأطفال . . وأقام معهدا باسمه . ثم تفرغ لإدارته . .

وهو المرض الذى أصاب الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت وأجلسه على مقعد له عجلات طوال حياته . ومن الغريب أن عددا من المشاهير الذين ولدوا مع هذا العالم الكبير فى نفس العام قد تعرضوا لشلل الأطفال : مثل الأديب تنيسى وليامز ـ مات سنة ١٩٨٣ ـ والممثل تايرون باور ـ مات ١٩٥٣ ـ ونجم الباسبول دى ماجيو وهو زوج مارلين مونرو .

وقد اكتشف الدكتور سالك أن شلل الأطفال قديم جدا وأنه رآه فى إحدى اللوحات الفرعونية .

وفى أوروبا كانت هناك سيدة جميلة عشيقة لأعظم رسامى القرن العشرين بيكاسو . رآها بيكاسو سنة ١٩٤٥ فى أحد المقاهى ترسم سمراء نحيفة خضراء العينين غجرية الملامح . كانت تراه نصف إله . ورأى فى جمالها كلمة السر للوحات جميلة ، من بينها لوحة (ذات الشعر الطويل) ولوحة (المرأة زهرة) . . إنها الفرنسية الغنية فرانسوا جيليو فى العشرين من عمرها . . ولم تطق الحياة فى زحام العابدات والمعبودات لبيكاسو فتركته مع طفليها وسافرت إلى أمريكا سنة ١٩٤٨ . .

وإذا كان حبها لبيكاسو هو القدر فإن لقاءها بالدكتور سالك هو القدر والحب فقد أصاب طفليها شلل الأطفال لولا أن أنقذهما الدكتور سالك . وتزوجها ولكن لأسباب أخرى : هى رأته الأب العظيم وهو رآها الابنة الجميلة . وأحبته وفاض حبهما على الطفلين . فأنقذهما الدكتور سالك من الموت .

والحب يجىء كثيرا . والقدر على رقاب العباد . ولكن أن يكون القدر حبا والحب قدرا ، فذلك لايجىء إلا نادرا . . إنه مثل (طاقة القدر) يقال : إنها تنفتح مرة واحدة لواحد فى المليون ، وإذا انفتحت لاثنين معا فهى الواحدة فى المليار !

البحث عن حل !

سمعت الرئيس رافسنجانى فى حديثه مع مندوبة سى .إن . إن وهو يؤكد لها أن إسرائيل قد خدعت مصر حين أكدت لها أن إيران وراء محاولة اغتيال الرئيس مبارك فى أثيوبيا . وأن إيران بريئة من ذلك . ولكن مصر ترفض ذلك رسميا . وتؤكد أن إيران وراء كل المصائب . وإيران ترى أن إسرائيل وراء كل المصائب . والنتيجة أن هناك دولتين وراء متاعب مصر : إيران وإسرائيل . ونضيف إليهما السودان واليمن وواحدا سعوديا اسمه طارق بن لادن . . وقد يكون هناك أمريكان أيضا . فالمخابرات الأمريكية ليست هى جيش الخلاص أو سلاح نشر الفضيلة على الكرة الأرضية . كل هذا ممكن! وكل هذا جائز . ولا أخلاق فى السياسة ولا دين ـ وإنما ادعاء الدين . ويكون هذا الادعاء من صميم السياسة !

فما الحل ؟

الحل بدلا من أن تظل الصحف تتفرج وتتلقى الأنباء من هنا وهناك . وتشغل نفسها وقراءها بالأخبار ، دون الاهتمام بمعنى الأخبار وتحليل مصدرها ومسارها وهدفها ، يجب أن تذهب إلى ينابيع الغضب والانتقام فى أى مكان فى العالم . فبدلا من أن

يذهب العشرات إذا أغرقت المياه عشرين بيتا كان يجب هدمها ، فليذهب واحد من كل صحيفة إلى طهران إلى القدس إلى صنعاء إلى الخرطوم . فلكل هذه الدول أصدقاء فى مصر وفى غيرها . وحتى إذا لم يكن هناك أصدقاء ، فعندنا محترفون فى جمع المعلومات وتحليلها . .

كم عدد الذين يذهبون يتفرجون على مهرجانات السينما والمعارض الدولية وأسواق السلع المصرية فى آسيا وأوروبا . . المطلوب هو ربع هذا العدد يبحث لنا عن حل . . يبحث لنا عن طريقة لحل المشاكل التى تتعقد يوما بعد يوم . .

إن العالم كله يندهش عندما يذهب زعيم عربى ويأخذ زعيما آخر بالأحضان والقبلات . . ويكون هذا هو الحل ! ولكن فى الشرق كل شىء شخصى وكل شىء عاطفى . . والعيش والملح : حل . . ومن دخل بيت أبى سفيان فهو آمن . . وخطوة عزيزة . .

فما دام هذا حالنا فكيف نسكت . . والحل سهل لأنه قريب سريع . . حضن يكفى وقبلة هنا والثانية هناك ويا دار ما دخلك شر . . وصافى يا لبن !

سلامتك..

سلامتك يا ريس سلامة مصر . .

إنهـا نفس الأيدى الآثمـة التى أطلقت الرصـاص على الوزراء والأبرياء والأطفال والنساء وعلى الأجانب فى مصر . . .

إنه نفس الهدف : هدم مصر على رءوس أبنائها أملا فى دمارها وخرابها وسقوط أعمدة الأمن والاقتصاد والسياسة والحضارة .

إنها نفس الأيدى القذرة ، والنفوس الدنيئة والعقول المأجورة . .

إن الرصـاص الذى طاش فى أديس أبابا قـد جاء من مـجرمى القاهرة ، ومن العواصم العربية والأوروبية . . إنها مؤامرة على مصر . فالذين أطلقوا الرصاص أرادوا إسقاط الرجل الذى يدخل التاريخ على أنه جعل الحرية ماء وهواء لكل الناس . . فنحن عرفنا درجات الحرية فى الخمسين عاما الماضية . . يوم انكسرت الأقلام وأغلقت الصحف وخـربت البيوت . . وعرفنا الحرية التى اتسعت وشملت الصحف والمسارح .

وأخيرا عرفنا الحرية فى عصر مبارك الممنوحة للصديق والعدو ، وقـبـل ذلك الذى كـان يسـتطيع أن يقـول : بم فى بيتـه ـ فى التليـفـون . . وليس فى نقـابة الصـحـفـيين وعلى المسـارح وفى

الصحف . . يقول ما يريد ومالا يليق ولكن أحدا لا يقول له كلمة واحدة . . .

أذكر ، وسوف أذكر دائما ، كيف أن الرئيس مبارك كلمنى كثيرا حزينا من مقالات نشرت فى مجلة (أكتوبر) للكاتب الكبير إحسان عبد القدوس وغيره من كبار الكتاب ، وسألنى : هل يعجبك هذا الذى كتب ، فأقول : لا . . . ولكن هذا رأيه . .

وكان رأى الرئيس : أنا أتحدث إليك كمواطن . أنا غير راض عن الذى كتب ولكن أرجوك ألا تخبره بشىء عن ذلك فهو كاتب كبير . ومادام هذا رأيه وهذا يقينه فهو حر تماما فى ذلك !

ومقالات أخرى ونكت . وكلها استاء لها الرئيس . ولكن كان يطلب دائما ألا ألفت نظر أحد إلى عدم رضاه ، فهم جميعا أحرار . .

فالذين اعتدوا على الرئيس لم يعتدوا على شخص كبير ولا على الرجل الأول فى مصر . . . وإنما اعتدوا على قيمة إنسانية وعلى أمن مصر والعالم العربى . . على السلام وعلى الإسلام . .

ولكن شاءت إرادة الله أن ينجو الرجل الذى ادخره القدر لمصر فى يومها وغدها ، سلامها وسلامتها ، استقرارها ونهضتها !

الحمد لله على سلامتك يا ريس ، شكرا لله على سلامة مصر !!

احتجاج المؤلفين !

احتج ٧٥ من المؤلفين والناشرين الألمان على أن تفوز المستشرقة أنا ماريا شيمل بجائزة السلام لهذا العام والتى تتسلمها من الرئيس هرتسوج فى المعرض الدولى للكتاب فى فرانكفورت بعد أسبوعين . لماذا ؟ السيدة ماريا شيمل (٧٣ سنة) واحدة من أكبر المستشرقين الألمان . ولها دراسات تستحق الاحترام . ولها مواقف رفيعة نبيلة . وإشرافها على (مجلة فكر وفن) كان عملا جليلاً . ولا أحد ينكر روعة هذه المجلة التى نقلت إلينا الفكر الألمانى ونقلت لنا أيضا نظرات الألمان فى الفكر العربى المعاصر . ولا أنسى مقالا كتبته عن أثر شوبنهور وليس نيتشه فى نظرة الأستاذ العقاد للمرأة . لقد كان من أبدع وأروع ما كتبوا وما قرأت .

وغلطتها أنها فى مأدبة عشاء تحدثوا عن الأديب البريطانى الجنسية سليمان رشدى وما جاء فى روايته (آيات شيطانية) . قالت المستشرقة : لقد أساء إلى الإسلام . وأنها رأت أناسا كبارا فى السن يبكون من التأثر والحزن !

ثم عادت السيدة أنا ماريا شيمل وقالت : يستاهل الشنق !

وهى عبارة تقولها فى كل وقت . ولا تعنى بالضبط معناها الحرفى . . وحين نقول عن فلان إنه حمار ـ فلا نقصد أنه من ذوات الأربع . . وإنما كأنه !! ولو قلت أنت إنه يستاهل الحرق فليس معنى ذلك أن نسرع ونأتى لك بصفيحة بنزين وعلبة كبريت لتنفذ فيه هذا الحكم القضائى .

ومن المؤكد أن خطأ سلمان رشدى شنيع . فقد أهان الإسلام لاشك فى ذلك . وتطاول على مقام وشخص الرسول الكريم ، لاجدال . ولايهم إن كان فنانا كبيرا مبدعا . . ولايهم إن كان الإطار الفنى جميلا . . فالذى يضع مسدسا فخما فى منديل من الحرير الطبيعى ثم يخرجه بأناقة ويطلقه برشاقة فيقتل بريئا هو مجرم مهما كانت روعة المسدس مطعما بالألماس ونعومة الأصابع التى ضغطت على الزناد . . سألت صحفيا ألمانيا بالقاهرة : هل لأنها سيدة ؟ قال : مؤكد . وقلت : ولأنها مسيحية وكانت هذه الجائزة تعطى لليهود من قبل ؟ فأجاب : بالضبط . . واندهشت وقلت : هل هذا معقول؟ فأجاب : أصبح هذا هو المعقول ! وسوف يعطيها رئيس الجمهورية (جائزة السلام) مع عظيم الاحترام منا جميعا .

البحث عن قضية !

من مهازل مصر أن نجلس معا وأن نتساءل : كيف نجد لنا قضية ننشغل بها ؟

من المؤكد أن القضايا الداخلية هى الأهم .

ويكفى أن تنظر إلى كوب الماء الذى أمامك . فى هذا الكوب كل مصائب مصر . فالماء الذى أمامك مسموم . والله العظيم مسموم . والهواء الذى نشمه مسموم . وطعامك مسموم . هذه حقيقة علمية مؤكدة . والذى يقول لك غير ذلك ، أى أحد ، أيا كان هذا الأحد فهو كذاب غشاش . . وأفكاره هى الأخرى مسمومة !

فإن وقف الماء فى يدك والطعام فى حلقك . فهذه هى البداية ، وأرجو أن تلقى بنظرة سريعة إلى أى طفل لتقول وأنت حزين : الأعمار بيد الله ، ولكن هذا الطفل سوف يعيش مريضا متخلفا عقليا !

والأسباب كلها فى نهر النيل الذى كانت مصر من هباته ، فأصبحت مصر من ضحاياه . .

فى مجلس الشعب وجعوا قلب مصر كلها بسبب مياه كفر

الشيخ ولصوص الإدارة والعملات الصعبة التى نقترضها بالدين والفوائد المركبة ، إنهم فى كفر الشيخ يشربون مياه الصرف الصحى!

أسوأ من ذلك سمعته من محافظ الدقهلية اللواء إبراهيم الشيخ فى اجتماع (المجلس الأعلى للانتماء) لأبناء الدقهلية الذى يرأسه الإمام الأكبر . . قال لنا المحافظ : إن الناس يشربون من الصرف الصحى . . والناس يبيعون الماء بالصفائح والجرادل ـ الجردل بجنيه . ومن الذى يقدر على ذلك . . إن ماء الجرادل ، إن لم يكن مغشوشا فهو شمبانيا الفقراء . ولا يقدرون عليه . . ويتساءل المحافظ ـ ومعه حق ـ وقال : كيف يتساءلون بعد ذلك عن الأمراض والأوبئة والفشل الكلوى !

قال لى د . على عبد الفتاح وزير الصحة : إن تنقية المياه توفر على الدولة ألوف الملايين فى صناعة الأدوية واستيرادها !

وإذا لم تكن هذه هى القضية ـ وهذه هى المياه ـ وهى الأولى بالرعاية والعناية ، فمعنى ذلك أننا حكومة وشعبا أميون . . وجهلة وقتلة . . فالأطعمة الفاسدة والنيل الفاسد ، أخطر كثيرا جدا من الأسلحة الفاسدة التى مضى عليها خمسون عاما . .

عندك اسم لما نحن فيه ؟ عندى فنحن قد انتقلنا من فساد الأسلحة إلى فساد الماء . . أى أن مصر تتطور بسرعة فساد كل نصف قرن ـ ولكن فساد الذمم والأفكار هو أحط أنواع السموم . . لأنه يجرى كالماء فى النيل ، والدماء فى عروقنا . ومن العار والجرأة أن نطلب من الله أن ينقذنا من أنفسنا . يجب أن نخجل . فنحن نطلب من الله ما يجب أن نطلبه من أنفسنا ـ لو كان عندنا دم !

لعبة مميتة !

ما الذى وجدوه فى ملابس الأطفال . . فى مراتب ومخدات الأطفال ؟ مائة ألف أسرة فى بريطانيا لجأت إلى القضاء . فقد اكتشف أحد الآباء أن الأطفال الصغار يموتون فجأة بسبب المواد الكيماوية الموجودة فى المراتب . هذه المواد تحمى المرتبة من الاحتراق أو تؤجل احتراقها بعض الوقت . الملحوظة لرجل ليس طبيبا . ولكن الأطباء وشركات الأدوية التى تصنع مراتب الأطفال قد أصابهم الفزع . وسحبت شركات الأدوية كل المراتب المعروضة فى الأسواق .

ذهب العلماء يجمعون مراتب الأطفال الذين ماتوا . فقد لاحظوا أنه فى كل سنة يموت فى بريطانيا وحدها ١٧٥٠ طفلا أثناء النوم . الطفل فى صحة جيدة . وفجأة يموت . والآباء والأطباء لا يعرفون ؟!

ولاحظوا أيضا أن الأسرة الغنية يموت فيها الطفل الثانى أو الثالث أما الطفل الأول فيعيش . . بينما العائلات الفقيرة يموت فيها الطفل الأول . ووجدوا أن السبب هو أن الأسرة الغنية تشترى مراتب جديدة والأسرة الفقيرة تستعيرها .

ولاحظ الآباء والأمـهـات أن أطفـالـهم الذين يموتون هم الـذين ينامون ووجوههم إلى المرتبة . . فهم يتنفسون هواء مسموما . . وهذه السموم تنطلق بسرعة بسبب تبول الطفل أو حرارة جسمه .

وقد قام العلماء بتحليل دماء الأطفال وأنسجة جلودهم . . فلاحظوا بها معظم السموم . ولكن هناك سموما أخرى لم يعثروا عليها . .

والآباء والأمـهـات الذين مـاتت أطفـالـهم يريدون جـوابا من الهيئات الطبية : لماذا ماتوا ؟ وهل كان من الممكن تفادى هذه الوفاة السريعة للأطفال ؟ وإذا كانت المراتب هى السبب ، صحيح أن الموتى لايعودون ولكن المهم هو ألا يموت أطفال آخرون .

وبالمصادفة جاءت أخبار أخرى من فرنسا . فقد نشرت (المجلة الطبية الفرنسية) أن عدداً من الأطفال قد ماتوا فجأة . من بينهم طفل لأبوين طبيبين . الأب طبيب أطفال والأم طبيبة أمراض جلدية . وقد عكف الأبوان على تشخيص وتحليل كل ما هو ضرورى .

واهتدى الأبوان إلى أن طفلهما الذى كان سليما تماما جاءت وفاته على أثر اختناق استغرق دقائق . وعلى الرغم من أنها فاجعة . ولكن مهنة الأبوين قد تغلبت عليهما . واكتشف الأبوان معا أن السبب هو انطلاق غازات من ملابس الطفل . . ومن حذاء الطفل . . ومن بعض اللعب المصنوعة من القماش . .

ولايزال الفزع والبحث يدا بيد على جانبى بحر المانش !

ينقصهم الأدب!

ينقصهم الأدب فى بريطانيا ، وفى مصر أيضا . فعلماء التربية فى بريطانيا منزعجون من قلة الذوق والخشونة عند الشباب . فألفاظهم غليظة وحركاتهم . ويجدون فى الرقة واختيار الألفاظ فى الحديث إلى المرأة وإلى الأكبر ، نوعا من الضعف والحذلقة التى لا مبرر لها . ولم تعد كلمة (جنتلمان) هى أحسن أوصاف الرجل ولا كلمة (ليدى) هى أنسب صفات السيدة الأنيقة المهذبة . فقد سقطت هاتان الكلمتان من قاموس أدب الحوار .

ولا شىء يضايقنى جدا من الاستماع إلى الشباب إلا أنهم يتكلمون بسرعة . وأنهم يأكلون الحروف وتطيش منهم الكلمات والمعانى . ونحس كأنهم لا يعرفون العربية . . أو أنها لغتهم الثانية . فالألفاظ لا تسعفهم والمعانى تهرب . . وهم يتكلمون بسرعة لكى يخفوا ما يريدون الإفصاح عنه . .

ويؤلمنى أكثر أن ينطقوا الكلمات العربية نطقا خطأ . ولا يخجلون من ذلك . ولا أعرف ما هى الكلمة المناسبة لواحدة أو واحد يعجز عن التعبير عن أبسط الأشياء . ولا يخجل أيضا من نقص

معلوماته عن أبسط الأشياء . . ولكن مادامت هذه حالة ، ولا يجد حرجا فى أن يعترف بذلك ، فليس هناك شىء آخر يبعث على الحياء أو الأدب !

رأيت شابا يتحدث مع والدته . . إيه ده ؟ ولن أقول كيف كنا نحن نتكلم . وكيف كان الأب والأم . . وكيف احترامنا لهما . أو كيف كان احترامنا لمن هو أكبر سنا أو مقاما . . والذى يدهشنى أكثر هو الفتاة المصرية . . إيه ده . . ما هذه الألفاظ . . ما هذه الحركات بيديها وحاجبيها وشفتيها . . ؟ ! إنها تعبر عن حريتها عن الذى تريد وهى تختار الألفاظ والعبارات التى تؤكد أنها رجل وزيادة . . وإذا كان الرجل قليل الأدب فهى قليلة الحياء . .

الانجليز لاحظوا ذلك على شبابهم ويتساءلون : إن كان التليفزيون هو السبب أو هى الأفلام العارية . . أو هو إهمال الوالدين . . أو هو ضعف المدرسين . . أو هو الجو العام الملوث بأحط الألفاظ والإشارات . .

هذا الحوار سمعته :

الأب : لن تذاكر ؟

- وما فائدة المذاكرة . . إن أغنى الأغنياء لا يفتحون كتابا !

- كانوا يفتحون الكتب أيام كانوا طلبة ، والآن مشغولون بأعمالهم .

- كانوا غشاشين ولا أحد يعيب عليهم ذلك . .

- يعنى إيه ؟

ـ يعنى زى ما تيجى . . إننى سوف أهاجر من مصر . .

ـ متى قررت ذلك .

ـ من زمان . .

ـ ولهذا لا تبذل مجهودا فى المذاكرة ؟

ـ نعم .

ـ ولماذا لم تقل لى . . لكى أوفر الفلوس التى أنفقها عليك ؟!

لم يكن الحوار بالضبط هكذا . . وإنما حذفت الكلمات التى لاتليق . . ولم أصف الحركات والإشارات والضحكات والغمزات واللمزات . .

ونفسى لاتطاوعنى أن أعرض حوارا بين ابنة وأمها فى هذا المعنى . . وينتهى الحوار عادة ببكاء الأم !

هذا الكون..

(١)

علم الفلك هو علم ماضى الكون . . فالنجوم التى تراها فى السماء قد بعثت إلينا بضوئها من سنين . . مئات . . ألوف . . الملايين . . وقد لاتكون موجودة الآن . .

والمراصد العلمية فى القارات الخمس تتجه إلى السماء ترصد وتحلل . . أو تتسمع على الموجات الصوتية البعيدة . ويستمر ذلك سنين طويلة دون أن يصل العلماء إلى شىء . . وإنما يرصدون شيئا يلمع ويختفى إلى الأبد . . أو يرون شيئا خافتا . . هو خافت لأنه بعيد واقترب ألوف ملايين الكيلو مترات منا . . أو أنه يموت . . ولا يزال يخفت حتى ينطفئ تماما . . ويكون أسود والسماء كلها سواد . . فالمسافات بين النجوم ليست سحبا ولا غازات . . وإنما (مادة سوداء) . . جزء ضئيل من الكون مادة مضيئة و٩٠٪ مادة سوداء . فليس فى الكون فضاء ولا فراغ - هذا رأى . . ورأى آخر يقول : إن النجوم إذا ضعفت توحشت فهى تنطوى على نفسها وتنكمش . . وتتكاثف وتكون لها جاذبية هائلة . . هذه الجاذبية تجعلها تبلع النجوم التى حولها . . ولاتزال تبلع ما حولها حتى تبتلع

الضوء المنبثق منها فتكون سوداء . . أى تكون (ثقوبا سوداء) كأنها بالوعات كونية تفترس النجوم . . ملايين النجوم . . فالكون يتمدد بسرعة هائلة منذ (الانفجار العظيم) الذى كان بداية ظهور مادة وغازات وطاقات وطوفان وعواصف وسحب وهذه السرعة تدلنا على قوة الانفجار الهائل الذى بدأ من ١٤ ألف مليون سنة . .

والكون يتقلص وينكمش . . يحدث تفريغ وانهيار للكون بعضه على بعض ليعود الكون كما بدأ صغيرا . . ضئيلا . . ذرة بسيطة . . أو واحدا على مليون مليون من الذرة . ثم ينفجر من جديد . . ويتكرر ذلك إلى ما يشاء الله .

وهناك نظرية تقول : إن الفراغ نفسه يتمدد . . كيف ؟ هات بلونة صغيرة . والبلونة عليها نقط بيضاء . انفخ . . انفخ البلونة فماذا تجد؟ سوف تجد أن المسافات بين النقط هى التى اتسعت ، هذه المسافات هى الفضاء . . هى الفراغ الذى يتسع . .

وفى العام الماضى اكتشف العلماء عملية ولادة لنجوم جديدة . . فقد بعث (مرصد هابل) المدارى صورا لنجوم تخرج من بطن نجوم يبلغ طول (حبلها السرى) ملايين الكيلو مترات . . ولم نكن نعرف كيف تتوالد النجوم . . وكيف يكون الخروج وكم من الوقت وكم من الطول والعرض ودرجات الحرارة والغازات والأتربة . لقد رأينا ذلك . . ووجد العلماء فى كل المراصد سببا . . وجيها ليفرقعوا الشمبانيا . . ويتعانقوا وتسيل دموعهم على خدودهم . . فقد تعبت عيونهم وانكسرت رقابهم وهم ينظرون إلى السماء . . ولكن السماء لاترحم دموعهم وعرقهم وتجود عليهم بشىء جديد !

(٢)

أرجو ألا تتصور لحظة واحدة أننى عندما أقول ألف مليون أو ألف مليون مليون أننى (أفشر) وأننى لا أعرف الرقم الصحيح للمسافات أو للسنين أو عدد النجوم . لا فنحن أمام كون واسع جدا إلى غير حدود نعرفها ، وفيه نجوم ومجرات عددها ألوف الملايين . . وقد اكتشف مرصد هابل من شهر واحد أن هناك ١٥٠٠ مجرة جديدة . فإذا كانت المجرة الواحدة بها ألف مليون نجم . . وهذه النجوم حولها كواكب كالكرة الأرضية . . فكم يكون عدد الكواكب فى الكون . . وإذا عرفنا أن هذا الكون ليس هو الوحيد ، وأن هناك ألوف ملايين الأكوان فكم يا ترى عدد النجوم وعدد الكواكب ـ احسبها أنت !!

ولكن العلماء لايزالون يتطلعون إلى شىء ينقذنا . . ينقذنا من حيرتنا . ينقذنا من ضيقنا بالأرض . . وفى ٦ أكتوبر الماضى اكتشف اثنان من علماء سويسرا كوكبا يدور حول نجم . والنجم يبعد عنا أربعين سنة ضوئية ـ والسنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الشعاع فى سنة . وهى عبارة عن واحد وأمامه ١٣ صفرا من الكيلومترات . ولم يلق هذا الاكتشاف تصديقا من العلماء . . بل قال أحدهم : إن السماء قد امتلأت بكراكيب النجوم والكواكب والنفايات الكونية ، ولعل هذا الكوكب شىء من ذلك !

ولكن بعد أسبوعين أعلن علماء آخرون أنهم وجدوا أعظم

اكتشاف فى القرن العشرين . لقد عثروا على كوكبين يشبهان الأرض تماما . كل واحد يدور حول نجم كالشمس تماما . أحد الكوكبين يدور حول نجمة اسمها (٧٠ نرجنيس) والكوكب الثانى يدور حول (الدب الأكبر - ٤٧) . وأن الكوكبين لهما مداران منضبطان تماما . ودرجة حرارتهما حوالى ٨٠ مئوية . وأن كل منهما أكبر من كوكب المشترى الذى هو أكبر كواكب المجموعة الشمسية . . وهو غازى وليس له قلب جامد . . ولكن العلماء يرون أن حرارة هذين الكوكبين ووجود ثانى أوكسيد الكربون يجعل الحياة ممكنة - والحياة التى يتحدثون عنها هى حياة الخلايا العضوية . وأن الأمر متروك الآن لعلماء البيولوجيا ليقولوا لنا هل هناك حياة . .

والآن يحق لنا أن نقول : إننا لسنا وحدنا فى هذا الكون . أخيرا وجدنا مكانا فيه حياة من نوع ما . .

وقد اهتدى العلماء إلى هذين الكوكبين بعد عشرات السنين من التحليل الضوئى لمائة نجم . ولم يفرغوا حتى الآن إلا من ستين فقط . . وكانت دراستهم قائمة على رصد انعكاس أضواء هذه النجوم على أجسام خافتة بعيدة . . ولم يكن فى استطاعة الفلكيين القدامى أن يرصدوا ذلك بسبب بدائية الأجهزة التى يستخدمونها . . وإن كان كوبر نيكوس الفلكى المشهور قد توقع شيئا من ذلك . فهو أول من قال : إن (الأرض) ليست مركز الكون . . ولا الإنسان هو الفتى الأول فى هذا الكون !

(٣)

آخر الرحلات الفضائية وأكثرها إثارة وسوء حظ هى التى قامت بها سفينة الفضاء جاليليو . فقد انطلقت على ظهر مكوك فضائى يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٨٩ متجهة إلى كوكب المشترى الذى يساوى فى حجمه كل كواكب المجموعة الشمسية . . والذى يبعد عن الشمس ٤٨٠ مليون ميل . والشمس تبعد عنه ٩٣ مليون ميل . وقد انفصل المكوك الفضائى عن السفينة جاليليو بعد دورانها حول الأرض .

ولو اتجهت السفينة إلى كوكب المشترى مباشرة لبلغته بعد ٣٠ شهرا . . ولكن الوقود فى السفينة لايمكنها من ذلك . فما الحل؟ اهتدى أحد العلماء إلى فكرة عبقرية . وهى أن تستخدم جاذبية الأرض والزهرة وكويكبات أخرى فى دفع السفينة جاليليو . . أى فى (تسريع) انطلاقها . فقد انطلقت السفينة فى اتجاه كوكب الزهرة فبلغته يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٩٠ ، واكتسبت بذلك سرعة أكبر ثم عادت إلى مدار حول الأرض فاكتسبت بسبب جاذبية الأرض سرعة أكبر واتجهت إلى كويكب اسمه (جاسبرا) يوم ٢٩ أكتوبر فزادت سرعتها . . ثم عادت إلى مدار حول الأرض . . ثم اتجهت إلى كويكب اسمه (إيدا) فبلغته يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٩٩٣ حتى صارت سرعة السفينة ١٧٠ ألف كيلو فى الساعة بعد أن كانت عند دورانها حول الأرض ٣٠ ألف كيلو فى الساعة .

وفى ١٢ يوليو سنة ١٩٩٥ عند اقترابها من كوكب المشترى

انفصل عنها المعمل الفضائى الملحق بالسفينة . . وسار الاثنان معا لمدة ٣ شهور . . ثم سقط المعمل الفضائى فى (جو) المشترى الغازى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٩٥ وبدأ يبعث بالمعلومات المطلوبة منه إلى السفينة الأم .

ومن السفينة الأم إلى الأرض . . وهى رحلة انتحارية تحطم فيها المعمل الفضائى بعد ٥٧ دقيقة .

أما السفينة جاليليو فسوف تبقى حول كوكب المشترى ٢٢ شهرا تدور حوله ١١ مرة بينها عشر مرات حول أربعة من أقماره الستة عشر لتكسب سرعة أكبر . . وبعد نهاية الرحلة تنتحر هى الأخرى على واحد من هذه الأقمار . .

ولا أحد يعرف الآن ما الذى بعثت به السفينة جاليليو . فالمعلومات التى سوف تصل إلى الأرض تحتاج إلى سنوات من التحليل . ثم إن بعض الأجهزة الدقيقة فى السفينة قد تعطلت واستحال إصلاحها . . ولكن هذه الأجهزة تعمل بربع طاقتها وكفاءتها . ولكنها تعمل . والمعلومات فادحة الثمن . فقد استعد العلماء لهذه الرحلة من عشرين عاما وتكلفت ألف مليون دولار .

وبعد سنتين سوف تبدأ الرحلات إلى كوكب زحل . .

ولا يزال المرصد الفضائى «هابل» يضيف جديدا إلى ما نعرف عن الكون ومادة الكون وعمره وبدايته ونهايته إن كانت له بداية أو نهاية . . (انتظر حتى آخر حلقة من هذه السلسلة) .

إنها دوخة للعقل والخيال . ولكنه قدر الإنسان : محكوم عليه بالأفكار الشاقة المؤبدة !

(٤)

فى أبريل سنة ١٩٦١ كان الضابط الروسى جاجارين أول إنسان يدور حول الأرض . حدث علمى جليل . وهذا الضابط الصغير الماركسى أعلن للعالم كله : أنه لم يجد الله فوق !

عبيط وساذج وجاهل . فنحن لانحتاج إلى أن يدور حول الأرض لنعرف إن كان الله موجودا . . لأنه ليس فوق ولا تحت وإنما فى كل شىء . . فى الذرة والمجرة . . فى الخلية الحية التى هى مصنع ضئيل جدا . . مصنع ومحطة توليد قوى وميدان ملىء بالحركة والحيوية . . وليس فى الذرة بل فى جزء من ألف مليون من هذه الذرة !!

والنظر فى ذرة أروع من النظر إلى السماء . . فالكون الذى فوقنا متواضع جدا إذا قورن بالكون الموجود فينا . . أى ملايين ملايين من الخلايا المتنوعة الأشكال والألوان والأحجام . . بل إن الحيوان المنوى هو معجزة الخلق . . فهو يضم كل صفات النوع الإنسانى وكل صفات الأبوين وعاداتهما فى الأكل والشرب والنوم . . وملامح الأنف وبحة الصوت ووضع الساق على الساق . كيف يحتفظ هذا الحيوان بكل ذلك رغم ضآلته . . وفى عالم النبات والحيوان معجزات يركع لها العقل ويسجد ـ فما أعظمك يا رب . . وما أعجزنا عن الاقتراب من حكمتك . . ولا أقول الإحاطة بها . فكيف تحتوى أصابع اليد بالسماء ؟ . . وكيف يحيط عقل بما هو فوق كل عقل ؟ . . ورغم أننا ضعاف فإننا نحن الكائنات الوحيدة

التى تعترف بذلك . ورغم معرفتها بعجزها فإنها لاتكف عن ابتكار أدوات لمزيد من المعرفة . وكل شىء يؤكد حقيقة واحدة : عظمة الله . .

وفى آخر كتاب (أصل الإبداع) للعالم الكبير دارون يقول : على الرغم من أن كوكب الأرض يدور حول نفسه فى مدارات ثابتة منضبطة وفقا لقوانين الجاذبية التى اكتشفها نيوتن ، فإننا نحن البشر نخرج من جلدنا ونتطور . .) .

وسوف نخرج من الأرض ونتوسع ونتطور إلى غير نهاية . فنحن لانعرف نهاية الطريق الصاعد إلى الفضاء الخارجى . . إننا نرى بداية فقط لأننا حديثو العهد بكل ذلك . . وكلما تقدمنا وتخطينا الصعاب واجهنا أنفسنا وانحنينا أمام إصرار الإنسان وعبقريته على أن نعرف فلا حيلة لنا . . ولا قدرة لنا على أن نطبق العين ونسد الأذن عن جمالك وجلالك . . حتى لو فعلنا فأنت فى أعماق القلب والعقل والخيال . .

وكان الفيلسوف الفرنسى رينان يقول : آه لو عشت حتى آخر الزمان ، لكى أعرف ما الذى حققه الإنسان وكيف حل مشاكل النفس والناس والكون حولنا . .

الله وحده يعلم كم يطول عمرنا على الأرض . . وكم يطول عمر الأرض التى إن هى ابتعدت عن الشمس متنا . . وإن هى اقتربت متنا . . وإن اصطدم بها حجر ضال متنا . . فإذا متنا فذرة رمل فى المحيطات اللانهائية للكون الذى لا أول له ولا آخر . . !

(٥)

ماذا حدث من يوم ١٨ حتى ٢٨ من ديسمبر ١٩٩٥ ، ومعلومات أخرى عن المعمل الفضائى الذى انتحر فى جو المشترى .

ففى هذه الأيام أداروا عدسات المرصد الفضائى هابل إلى (شريحة) ضئيلة من جانب السماء . وبعث المرصد ٣٤٢ لقطة سجلوها على الزجاج وليس على الورق . لأن الورق قابل للالتواء . . وهذا الالتواء مهما كان ضئيلا يعطى صورة خاطئة للنجوم فى السماء . ولما وضعت هذه اللقطات جنبا إلى جنب اكتشف العلماء أن هناك ١٥٠٠ سديم ـ مثل (الطريق اللبنى) الذى نحن جزء ضئيل منه . وبعملية حسابية بسيطة قدر العلماء أن فى الكون الذى نعرفه أربعين ألف مليون (طريق لبنى) ، فى كل واحد من هذه الطرق اللبنية ألف مليون شمس ، وحول كل شمس عدد من الكواكب . . وبعض الكواكب لابد أن تكون فيها حياة ما . . أى أن هناك احتمالات لوجود حياة عددها ملايين الملايين !

وقد سجل مرصد هابل أن هناك نجوما تموت ونجوما تولد . . بل إنه بعث إلى الأرض بصور لنجوم تتكون عند بدء خلق الكون .

أما اكتشاف اثنين من علماء الفلك الأمريكان هما جوفرى مارسى ومساعده بول بتلر لكوكبين جديدين يدور كل منهما حول

شمس مثل شمسنا . فهذا هو الحدث الجليل فى هذا القرن . . أحد الكوكبين منهما أكبر من كوكب المشترى ثمانى مرات . . مع أن المشترى فى حجم المجموعة الشمسية كلها . ويدور كل منهما حول شمسه مرة كل ١١٦ يوما . ويتكونان من مادة غير مادة كوكب الأرض .

وتدور حولهما أقمار أيضا . . وقد اكتشف العالمان أن أحد الكوكبين به ماء سائل !!

وأما المعمل الفضائى الذى انفصل عن السفينة جاليليو يوم ٧ ديسمبر الماضى . وهبط بالمظلة فقد جاءت المعلومات التى بعث بها محيرة للعلماء . فقد بعث المعمل الفضائى بمعلومات استغرقت ٥٧ دقيقة ـ لا ٧٥ دقيقة كما توقع العلماء ـ لقد اختلفت هذه المعلومات عن كل ما لدينا عن حجم وكثافة وعواصف وغازات وحرارة كوكب المشترى . .

وفى (مؤتمر الفلكيين) الأخير فى (سان انطونيو) بولاية تكساس وقف الرجل الذى اكتشف الكوكبين الجديدين يقول : (أيها السادة إننا الآن نقف على عتبة الكون . . إن لم يكن على العتبة فنحن قريبون منها . نحاول أن ننظر من تحت الباب . . ألف مليون مليون باب . . نرى ظلالا ونسمع ضوضاء . ومن حين إلى حين نرى شيئا يبرق وشيئا ينطفئ . . وقد اتخذت كلها شكل علامات الاستفهام !) .

آه يا دماغى . . ودماغك أنت أيضا !

السلام والإرهاب

(١)

عندما دعت مصر للسلام مع إسرائيل لم تكن هى الدولة الوحيدة التى فى حالة حرب ، فقد كان فى العالم ٣٢ جبهة تنزف دما . . وعندما دعت مصر للقضاء على الإرهاب لأن فى العالم ١٨ شعبا يدفن حيا فى شيشانيا ، والبوسنة ، وفى إيرلندا ، وفى لبنان ، وأفغانستان ، وفلسطين ، وإسرائيل ، والجزائر .

فإن كانت مظاهرة انتخابية من أجل نجاح كلينتون وبيريز ويلتسين ، فأنا أتمنى لهم النجاح ، فواحد يدعو للسلام ، والثانى حريص عليه ، والثالث سوف يكف عن قتل المسلمين ، وسوف يكون سلاما فى الشرق الأوسط .

فهل يا ترى لاسلام مادام هناك إرهاب ، أو لولا الإرهاب ما كان السلام ؟

إن فلسطين تشكو من العنف الإسرائيلى وخنق الأبرياء طريقا إلى السفاحين ، ثم إن إسرائيل هى التى أرضعت (حماس) كراهية (منظمة التحرير) فانقلبت على الجميع ؟

وإن كان الزعماء غلابة ومساكين مثلنا ، فإلى من نذهب نحن

ومن نرجوه ونتوسل إليه . . أما السيد كلينتون فتى الكرة الأرضية الأول والكواكب الأخرى ، فهو ابن عم الرئيس بوش الذى زعزع الدنيا فى روسيا ويوجوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وجعل شعوب الخليج تركع مثقلة بالديون التى (هبشها) مكافآت وعلاوات دورية وتأمينات اجتماعية وتعويضات لليتامى والأرامل الأمريكان . . حتى لايكون البترول سلاحا ضد أمريكا وأوروبا وإسرائيل . . كما أن بوش أبقى على حياة صدام حسين ، وسوف يبقى كلينتون على حياة بنت رافسنجانى والبشير وكاسترو ويلتسين قاتل المسلمين فى شيشانيا والبوسنة .

وقد سمعت ورأيت السيدة هيلارى كلينتون تتمنى لمهرجان الجنادرية السعودى كل نجاح فى الدعوة إلى الإسلام الصحيح الذى دخل أبناؤه البيت الأبيض فى شهر رمضان ، والذى دخل ضمن معلومات شلسى ابنة الرئيس كلينتون . . والإسلام هو دين ألف مليون نسمة فى الدنيا ، فليس هينا ، ولكنه قوى ونقطة الضعف الوحيدة فى هذا الدين الحنيف هى أبناؤه الذين هم أكثر من سبعين فرقة . . فهل على أيدى الذين هدموا كل الدول سوف نبنى الإسلام على السلام ، أو السلام على التسامح بين الأديان فى الشرق الأوسط طريقا إلى السلام الكونى ؟

لقد جاءوا من أجل السلام على أرض السلام التى فرشناها بدماء مئات الألوف ، وكان السلام غاليا علينا ، ولايزال . . وكان ثمنه فادحا ولا نريده أن يكون أفدح ، وإذا كان أحد فى شك من السلام فلينظر إلى ما صنعه السلام فى شرم الشيخ والغردقة التى لم ينل منهما الإرهاب - والحمد لله .

(٢)

أجمل كلام عن أعظم سلام . . ولا يزال طريق السلام طويلا صعبا معقدا . ولا بد أن نمشى فيه من أوله لآخره . إن لم يكن للسلام آخر . فالسلام هو الحياة نفسها . والدفاع عنه دفاع عن النفس والتطور ففلسطين لاتزال مشكلة لأهلها ، فالمجتمع جديد عليهم . . والمشاكل متعاظمة والسلطة متخبطة . . والذين يقبلون السلام اليوم يرفضونه غدا . . وأعداء السلام بالأمس هم أصدقاؤه اليوم ، خصومه غدا . . ولا تزال فلسطين عاجزة عن الوقوف على قدميها وساعديها ـ وإسرائيل هى السبب . . وسوريا عقدة العقد لها مطالب قبل أن تخطو خطوة واحدة . وقبل أن تنسحب من لبنان أو تدخل الجولان . وصعوبة السلام السورى الإسرائيلى أن سوريا وإسرائيل يعرفان قواعد اللعبة وتتكلمان لغة واحدة . . ولا أحد يستطيع أن يخدع الآخر ولا أن يجعله ينام فى العسل نوما بوعود ذهبية أو ستائر وردية . .

وسوريا لايخيفها أن يذهب بيريز ويجىء نتنياهو . . فحزب نتنياهو هو الذى وقع السلام مع مصر . . وسوريا مستعدة لأن تعطى حزب الليكود مالم تعطه لحزب العمل . ثم تفاخر بأنها أسقطت الرجل الذى حقق السلام مع فلسطين والأردن وهو على استعداد لأن يوسع السلام فيشمل العراق والخليج . . وبذلك تكون سوريا قد احتفظت بإيران ولم تخسر إسرائيل ولم تحصل على أقل من

الذى حصلت عليه مصر . . ولايزال طريق السلام بين مصر وإسرائيل طويلا فلم تفلح إسرائيل ولا مصر فى إقناع الرأى العام بقبول إسرائيل . . فمصر رسميا تقول : نعم . . والشعب يقول : لا . . فلا سلام واضحا بين مصر وإسرائيل فما المعنى؟ . . إن السلام الحقيقى فى الشرق الأوسط هو الذى بين إسرائيل والأردن . . والذى تتطلع إليه دول فى الخليج تريد أن تبيع وتشترى وليست لها مشاكل مباشرة مع إسرائيل لا بالأمس ولا اليوم ولا غدا . . فهل نجح مؤتمر الإرهاب طريقا إلى السلام ، أو تدعيم السلام قضاء على الإرهاب؟ مصر نجحت سياسيا وسياحيا . وأمريكا نجحت دعائيا . وإسرائيل كسبت دعما أمريكيا هائلا . . وسوريا وإيران وليبيا والسودان ليس من حقها أن تخرج لسانها ظنا منها أن الخطب والبيانات لن تذهب إلى أبعد من شرم الشيخ . . فقد أرادت مصر وأمريكا وإسرائيل وفلسطين شيئا مهما وسوف تكون بقية النتائج باهرة قاطعة . فلابد من تخفيف القيود على أبرياء فلسطين . . فهل يستطيع بيريز ذلك أو لابد من استئناف كل الأحكام والقضايا أمام وزارة أخرى فى إسرائيل ورئيس آخر فى أمريكا ، وزعيم ثان فى فلسطين ؟!

كتب للمؤلف

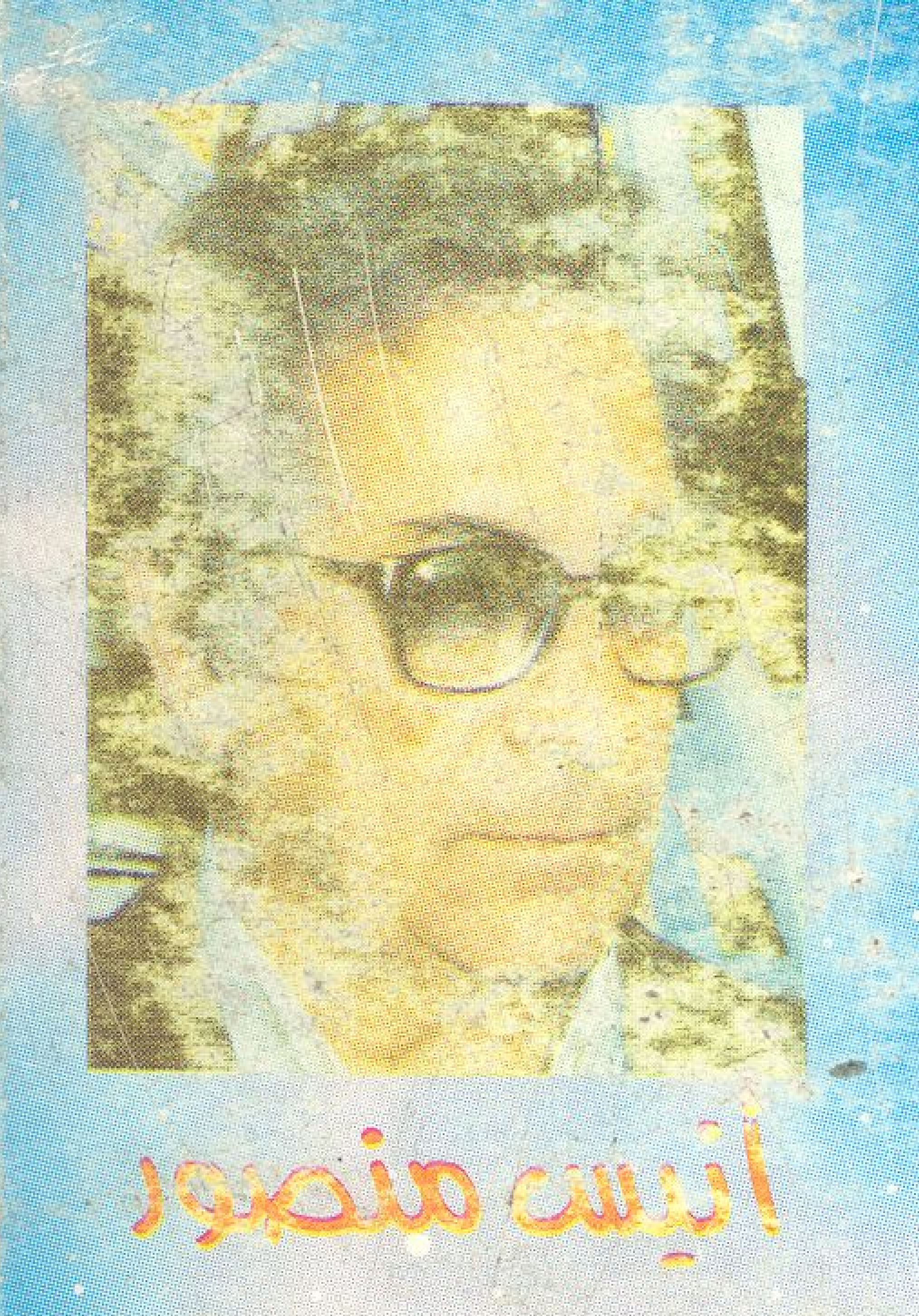
١- وحدى مع الآخرين
٢ - عذاب كل يوم
٣ - طريق العذاب
٤ - يسقط الحائط الرابع
٥ - كرسى على الشمال
٦ - ساعات بلا عقارب
٧ - مع الآخرين
٨ - بقايا كل شىء
٩ - نحن أولاد الغجر
١٠- من نفسى
١١- شىء من الفكر
١٢- حتى أنت يا أنا
١٣- لوكنت أيوب
١٤- أضواء وضوضاء
١٥- كل شئ نسبى
١٦- الحنان أقوى
١٧- إنها الأشياء الصغيرة
١٨- يعيش . . يعيش
١٩- مواقف ١
٢٠- مواقف ٢
٢١- مواقف ٣
٢٢- عزيزى فلان
٢٣- هى وغيرها
٢٤- يوم بيوم
٢٥- يامن كنت حبيبى
٢٦- قلوب صغيره
٢٧ - شارع التنهدات
٢٨ - فوق الركبة
٢٩- هذه الصغيرة وقصص أخرى(ترجمة)
٣٠- الأظافر الصغيرة
٣١- عريس فاطمة
٣٢- الغرباء (ترجمة)
٣٣- أثنين . . أثنين
٣٤- الوجوديه
٣٥- الخبز والقبلات
٣٦- التاريخ أنياب وأظافر
٣٧- من أول نظره
٣٨- الحائط والدموع
٣٩- الصابرا (الجبل الجديد فى اسرائيل)
٤٠- وجع فى قلب اسرائيل
٤١- ديانات أخرى
٤٢- على رقاب العباد
٤٣- الخالدون مائه أعظمهم محمد رسول الله
٤٤- دراسات فى الأدب الأمريكى

٤٥- دراسات فى الأدب الايطالى
٤٦- دراسات فى الأدب الألمانى
٤٧ - فلاسفة وجوديون
٤٨- فلاسفة العدم
٤٩- وداعًا أيها الملل
٥٠- الذين هبطوا من السماء
٥١- الذين عادوا إلى السماء
٥٢- أرواح وأشباح
٥٣- القوى الخفيه
٥٤- لعنة الفراعنة
٥٥- أوراق على شجر
٥٦- فى السياسة جزاء ١
٥٧- فى السياسة جزء ٢
٥٨- وكانت الصحة هى الثمن
٥٩- الوان من الحب
٦٠- أظافرها الطويلة
٦١- الدين والديناميت
٦٢- لاحرب فى اكتوبر ولاسلام
٦٣- طلع البدر علينا
٦٤- قالوا !!
٦٥- عاشوا فى حياتى
٦٦- فى صالون العقاد كانت لنا أيام
٦٧- الا قليلا
٦٨-حول العالم فى ٢٠٠ يوم
٦٩- بلاد الله .. خلق الله
٧٠- أطيب تحياتى من موسكو
٧١- أعجب الرحلات فى التاريخ
٧٢- اليمن ذلك المجهول
٧٣- غريب فى بلاد غريبه
٧٤- أنت فى اليابان
٧٥- مدرسة الحب
٧٦- حلمك ياشيخ علام
٧٧- مين قتل مين
٧٨- العبقرى
٧٩- الأحياء المجاورة
٨٠- جمعية كل وأشكر
٨١- سلطان زمانه
٨٢- حقنه بنج
٨٣- ش رقم ٣
٨٤- كلام لك ياجاره
٨٥- رومولوس العظيم
٨٦-هبط الملاك فى بابل
٨٧- زيارة السيدة العجوز
٨٨- الشهاب
٨٩- زواج السيد مسيسبى
٩٠- هى وعشاقها

• الفهـرس •

رقم
الصفحة


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨





أنيس منصور

سبحان الله أعظم الخالقين أقولها وقلتها مائة مرة .. ألف مرة وأنا أتفرج على أفلام عن الخلية عن جزء على مائة ألف من الخلية.. على جزء من مليون من الخلية التى طولها وعرضها واحد على ألف من الملليمتر.. تصور ما الذى صنعه الله فى هذا الكائن الحى .. ماهذه القوى فى داخلها.. ماهذه الحركة.. ماهذه الشحنات الكهربية.. ماهذا النظام الدقيق.. ماهذه القوة الجبارة الكائنة فى هذا الجزء الصغير جداً جداً .. تبارك الله !

شىء آخر مذهل ولا حدود لقدرة الله وحكمته وعظمته إن حركة أى جزء من هذه الخلية إذا حاول العلماء أن يخرجوه من الخلية فإن سرعة خروجه أو إعادته إلى الخلية تصل إلى واحد على ألف مليون مليون من الثانية - وهذه نظرية الكيميائى المصرى الأمريكى أحمد زويل ..

فأنت لست فى حاجة لكى تدرك عظمة الله، أن تنظر إلى تلسكوب فى الفضاء وترى كتلاً من النار تدور حول بعضها البعض ومن ألوف ملايين السنين.. وهذه النجوم تولد وتموت.



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

